AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01044 0406

ID.01-b5907

18-10

HQ
1233
S3X
1935

قولي في المرأة على

ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب

بقلم

مصطفى صبري

شيخ الاسلام للدولة العثمانية سابقا

School of Oriental Studies
of
The American University at Cairo

القاهرة

١٣٥٤

1935

المطبعة السلفية

١١ شارع البودية (درب الجامع) بالقاهرة

297.461
Sa 13M

٣٩٧
ص ٣ ق

17307

حقوق الطبع محفوظة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

أما بعد فقد كانت مسألة المرأة قبل زمان غير بعيد أعظم فارق بين الشرق والغرب والاسلام وغيره فى المجتمع حتى انه لم يكن يخطر بالبال أن يجد الغرب فى مرأته المكشوفة مقلداً من الشرق المسلم المشهور بغيرته على نسائه مهما قلد فى غيرها لكن الأسف أن غيرته على نسائه زالت مع غيرته على إسلامه وربما كان زوال الاولى جزاء من الله تعالى فى الدنيا على زوال الثانية

ثم ان من نظر الى مظاهر الغرب يحسب أهله يعبدون المرأة ويجلونها بهذا الحد ومن هذه المظاهر اعتبرت المرأة الشرقية مقهورة منكودة الحظ لكن الحقيقة أن الغربيين ومقلدتهم منا يعبدون هوى أنفسهم فى عبادة المرأة وما إجلال الرجل العصرى المرأة

و تقديمه إياها على نفسه إلا نوعا من الضحك على ذقنها لمخادعتها وجعلها أداة اللهو و اللعب كما أن إخراجها من خدورها و ستورها معناه إنزالها من عرشها المنيع الى أسواق الابتذال حتى ان اشتراكها فى أعمال الرجال الذى هو معدود من انتصارها وفوزها بالحقوق التى تخولها إياها مساواتها المدعى لها بالرجل ، ماهو إلا احتمالها لاعباء الحياة القاسية التى لم يقم رجال الشرق بها بعدُ حق القيام فضلا عن نسائه ، مع أن احتمالها لتلك الاعباء يقع بطريق مزاحمتها للرجل لامساعدته فيها فعندئذ ان لم تقهر المرأة فى هذه المزاحمة فلا جرم أن عدم قهرها يكون مبنيا على مسامحة الرجال لها مقابل استفادتهم من أنوثتها وفيه ابتذال المرأة ، وقد كانت هى فى الشرق خير عون للرجل تساعده فى داخل بيته و تشترك معه فى أعمال الحياة وهى ملكة دولة العائلة زوجةً أو أما . وكلامنا فى جنس المرأة الشرقية المسلمة الحائزة لحقوقها فلا يعترض علينا ببعض الزوجات المنكودة الحظ من أزواج ظالمين قساة المعاملة مع أهليهم فالواجب اصلاح حالاتهن فى دائرة المدنية الاسلامية وليس الشرع بعاجز عن تأديب الظلمة مهما كانت صفاتهم

فالمرأة الضعيفة فى القوى الجسمانية الضعف الذى هو معترف به فى قول أفلاطون الحكيم عن مساواتها بالرجل ذلك القول القديم

الذى تمسك به أنصار المرأة الحديثة وسيأتى ذكره فى مقالة السفور والاحتجاب[١]، إن كانت مضطهدة عند كونها زميلة الحياة للرجل ومساعدته فى بيته كما هو موقف المرأة الشرقية المسلمة فلأن تكون مضطهدة ومقهورة عند كونها مزاحمته فى أعمال الحياة وطرق المعيشة، أولى وليس لها موقف حر ممتاز خال عن الاضطهاد الا موقف كونها أداة اللهو واللعب للرجال، فالذين يعملون لحرية المرأة الشرقية كأختها الغربية يشوبون موقف مزاحمتها بهذا الموقف الاخير المزرى فيزعمون لها السلامة من الاضطهاد فى موقف المرأة أيضاً كما أن السفوريين يحاولون أن يُكسبوا المرأة مكانةً بأن يكون الرجال الاجانب عنها، الذين يرونها ويخالطونها، مزاحمين لزوجها عليها

وفى مذهبنا أن ضعف المرأة فى القوة الجسمانية المعترَف به عند معارضينا مع طماعية الرجال فيها طبعاً وعدم استغنائها عنهم ثم بقاء الاثر فيها من الاقتران بالرجل، كل ذلك يمنع استقلالها فى الحياة ويحتّم عليها أن لا تعيش فردا وأن لا تكون عرضة للرجال وأن تنحصر لواحد منهم وتتجنب كل مايخل بهذا الانحصار من قريب أو بعيد

---

(١) ص ٨١ — ٨٢

School of Oriental Studies
of
The American University at Cairo

هذا إجمال ما تحتويه المقالتان الآتيتان فى مبدأ تعدد الزوجات وفى السفور والاحتجاب المسألتين اللتين لايزال يدور حوليهما النقاش بين الفئة المتمسكين بدينهم وتقاليدهم وبين الفئة العائشين بأبدانهم فى الشرق وقلوبهم فى الغرب ، وسيرى القارئ بعد ماأحاط بالمقالتين علما أن العقل والنقل والفضيلة كلها تؤيد الفئة الأولى إلا أن الفئة الثانية على أبصارهم غشاوة من الشهوات وفى أعناقهم أغلال التقليد القائلة : إنا وجدنا قدوتنا وقبلتنا الغربيين على أمة وإنا على آثارهم مهتدون

فلا تحسبوا أن الأولين مقلدون لآبائهم وقائلون إنا وجدنا آبائنا على أمة الخ والآخرين مستدلون ماشون فى طريقة العقل والتفكير ولو قالوا لكان لهم بعض المعذرة حيث ان تقليد الآباء أقرب الى الرشد من تقليد الأجانب مع أن تقليدهم أعمى خالص العمى فى حين أن تقليد الاولين له من العقل والفضيلة نصيران

مصطفى صبرى

شيخ الاسلام للدولة العثمانية سابقا

مبدأ تعدد الزوجات

معلوم أن مسألة المرأة لا زالت أعظم المسائل الاجتماعية فى الاعصر الحديثة ، وأكبر ما تفترق به الحضارة الغربية عن حضارة الاسلام ، ولا زال تعدد الزوجات أول ما يُنتقد به الاسلام وأشهر نواحى الضعف الذى يلتاث به فى نظر الغربيين ومن ينظرون الامور بمنظارهم من المسلمين ، احتى ذا عنّ لبعضهم الاعتذار عن حكم دينهم فيه كانت غاية ما يتمسك به أنّ تعدد الزوجات ليس بضرورى فى الاسلام وأن جوازه محاط بشروط تجعله مستحيل الوقوع ، ويفوته أن الاعتراف بجواز تعدد الزوجات مبدئياً ضرورى للمسلم وأن شروطه لا تجعله مستحيلا والا كان تشريعه عبثا ولغوا وكان فعل الصحابة العاملين به معدوداً من طلب المستحيل

وقد كنت اشبعت الكلام عن هذه المسألة فى كتابى الذى ألفته قبل ثلاث عشرة سنة باللغة التركية ، ولما كان البحث والنظر فيها من بعض الكاتبين مستأنفا فى الايام الاخيرة على صفحات بعض الجرائد أردت أن أقول قولى فيه

ان ما يرمى اليه الاسلام فى معاملة النكاح والزواج هو النسل

وقضاء الحاجة البشرية إلى المناسبات الجنسية بشكل مشروع . ولا يبتعد جميع الاديان وقوانين الحضارة فى مرماها عن هاتين الغايتين فيفهم ان الدين والعقل مجمعان على مراجعة الشكل المشروع فى المناسبات بدلا من غير مشروعها ، ومتى دعت حاجة أى رجل إلى الاقتران بأية امرأة فلا سبيل اليه عند العقل والنقل إلا سبيله المشروع أى الزواج . وما دام فى الدنيا رجل لا يكتفى بما عنده من زوجة وحيدة ويبحث بعينه ورجله عمن عداها ، فالاعتراف بمبدأ تعدد الزوجات ضرورى إلا لمن يشذ عن طريق العقل والنقل ويبيح الزنا ، أو لمن يغض بصره عن الحقائق وينكر وجود الزناة فى الدنيا بين الرجال المتزوجين ، أو لمن يتقاصر حجاه عن ادراك التلازم بين منع تعدد الزوجات واباحة الزنا لبعض الرجال

فهذا القدر من الكلام يكفى فى تغليب حجة القائلين بمبدأ تعدد الزوجات وادحاض حجج المعارضين من دون حاجة إلى اطالة النقاش . وإنى لا أبرح على طول طريق المناظرة أتعلق بالمقارنة بين النكاح والسفاح وأكتفى بترجيح تعدد الزوجات للذين تسوقهم شهواتهم إلى الاستمتاع بأى امرأة لا يحل لهم ذلك فى نظر الشرع سواء كان استمتاعهم بوقاعها أو بتقبيلها أو مخاصرتها أو النظر اليها وأخص هؤلاء اللصوص لصوص الاعراض بوضعهم

موضع الخلاف بين أنصار تعدد الزوجات وأعدائه ، فالاسلام عفيف لا يبيح استمتاع الرجال بغير نسائهم اللاتى يوجد بينهم و بينهن عقد شرعى ، فاذا شعروا بحاجة إلى ذلك يجب عليهم أن يأتوه من بابه و يتوسلوا اليه بعقود ثابتة فيعلم الشرع و يعلم الناس ان هذه المرأة زوجة ثانية لهذا الرجل ولا يرضى الاسلام أن يدع علاقات الرجال بالنساء سرقات و يدعهن صيدا لمن قنص أو ملعبة للفساق . زوجة ثانية ! نعم ، هذا الاسم يثقل على ألسنة المفتونين المستبدلين بعقلياتهم وآدابهم الاجتماعية عقليات الغربيين وآدابهم ، المشترين الضلالة بالهدى . وليت شعرى كيف يجدونه عند المقارنة باسم المزنّى بها — التى يعبرون عنها بالخليلة ستراً لمعابتها وتخفيفا لفضاحتها — ولا يعترف الشرع ولا القانون بهذه الخلة ولا يُجهر بها فى المجتمع وانما يتهامس بها الاخلاء أى الزناة فيما بينهم

ولقد دهشت عند ما قرأت قول أحد الكاتبين بهذا الصدد : « لو سألنا أى امرأة : هل هى تفضل أن ترى زوجها يتزوج من امرأة أخرى أو يخادنها فقط ؟ لقالت : بل أفضّل أن يخادن ألف امرأة غيرى ، لانه قد يعود إلى صوابه فيعود إلىّ وحدى »

وأنا أقول ماذا عسى أن يكون قدر امرأة تفضّل أن تكون زوجة رجل يخادن ألف امرأة على كونها الزوجة الاولى لرجل عفيف ، وماذا يكون قيمة قول تلك المرأة الساقطة الحس والشعور

بهذه الدرجة وقيمة تقديرها الرجال وهى لا تقدر العفة قدرها ؟ أفمثل هذه المرأة ينصبها الكاتب حكماً ويجعل قولها الفصل فى مسألة هامة اجتماعية كهذه ؟ وهل يمكن أن يقول أحد من الرجال لا امنع امرأتى أن تخادن ألف رجل فحسبى انها قد تعود الى صوابها وتعود الىّ

وانى قد كنت قبل خمس وعشرين سنة أنشأتُ قصيدة تركية موضوعها تحاور امرأتين ، ونشرتها فى صحف الاستانة، تحديا لمقلدى الغرب المستهجنين لمبدأ تعدد الزوجات ، فعبرت فيها - بلسان احدى المتحاورتين - عن المرأة التى يشقُّ عليها أن يتزوج بعلها بامرأة ثانية فلا ترضاه ولا يشق عليها أن يخادن النساء فترضاه ، بامرأة ذات قرنين . ولو سألت الكاتب الذى يصف فى أول مقالته أعداء تعدد الزوجات بأنهم حاملو لواء المدنية : هل فيهم هذه المرأة التى يحكى عنها انها تبيح لزوجها أن يخادن ألف امرأة فتحمل ألف قرن ؟

ومنشأ استسهال الكاتب تقويلَ أى امرأة بذاك القول تفشى الفسق بين الرجال حتى عمت بليته فهان على النساء اختيار أزواجهن من الفساق وهان على الرجال أن يحبذوا هذا الاختيار

والكاتب يعد الرجل الذى يعقب أولادا من زوجتين آثما ، فكأن أولاد الزوجة الثانية أعداء يدخلهم الرجل فى الاسرة ، ولا يعده آثما إذا ادخل فيها ولد زنية ، ولعله يتغاضى عنه كما تتغاضى

الزوجة عن خليلة زوجها وولده منها أو يعتبرهما فى حكم العدم كما اعتبرت هى لانهما مجهولان عندها وعند الناس ومعدومان . ولقد دق نظر الاسلام حيث رأى فى الزنا قتل نفس وإعدامها وجازاه بمثله

أما ما ذكره من معاداة بنى العلّات [١] بعضهم بعضا فمنشأ ذلك نقصان التربية الدينية الواجب تداركه. وماذا يقول الكاتب فيمن يحاذيهم من بنى الاخياف [٢] وفى المعاداة الممكنة الوقوع فيما بينهم فهل يتصور سَن قانون يمنع زواج امرأة مات عنها زوجها أو طلقها بزوج آخر لئلا تلد منه أولاداً يعادون من ولدتهم من الزوج الاول كما يتصور سَن قانون يمنع تعدد الزوجات ؟ بل هل يتصور سن قانون يمنع الرجال بعد موت زوجاتهم أو مفارقتهن بالطلاق ، أن يتزوجوا مرة ثانية فيلدوا بنى العلات ويحصل بينهم المعاداة ؟

فقد ظهر أن أعداء تعدد الزوجات الذين لا زالوا يتعقبون ما فيه من المحاذير الاجتماعية ويتتبعونها ، يمكن معارضتهم فى كل خطوة بالزنا وما فيه من المضار والويلات ، ثم لا يمكن عند العقل السليم تفضيل الزنا عليه وتفضيل ويلاته على تبعاته ، ولذا قال مظهر عثمان بك الطبيب التركى الكبير الاخصائى الشهير فى

---

(١) أولاد الرجل من أمهات مختلفات

(٢) أولاد المرأة من آباء مختلفين

الامراض العقلية والعصبية فى كتابه المسمى (الطب الروحى) :

« الاكتفاء بالزوجة الواحدة (Monogamie) على ما يرى فى أوروبا انما هو مظهر (Etiquette) كاذب بعيد عن الحقيقة ، فقد تبين انه لا يمنع الفسق ، فالاولى أن نحترم تعدد الزوجات المشروع فى ديننا ، بدلا من أن لا نكترث بهذا التوسع الضرورى فى الفسق والفجور »

وتكلم الكاتب المعارض فى عدد الرجال بالنسبة الى النساء وقال « ان قامت حرب ومات فيها عدد كبير من الرجال أمكننا حينئذ أن نرجع إلى ديننا والى تطبيقه بحسب اختلاف الزمان » وانى أوصيه بالرجوع الى دينه من غير تريث ، وقد قلت فى كتابى المذكور :

« بناء على كون عدد النساء أكثر من الرجال ، أو تقليل الحروب عددهم ، أو عدم رغبة بعض الرجال فى الزواج ، أو رغبة بعض النساء الحرة فى اختيارها فى الزواج ببعض معين من الرجال المتأهلين ، بناء على أى سبب من الاسباب فقد توجد امرأة يمكن أن تكون زوجة ثانية لاى رجل حتى يتحقق تعدد الزوجات فى ساحة الوقوع ، وحسبك هذه المرأة زائدة فى المقارنة بين عدد الرجال والنساء فان لم توجد تلك المرأة فلا محل حينئذ لتعدد الزوجات ولا لشكاية الشاكين منها . ثم ان دفاعى عن تعدد

الزوجات لما كان بالنسبة إلى الزنا والسفاح ففى استطاعتى اثبات زيادة النساء على الرجال بوجود نساء فى كل بلدة يعشن ببيع أعراضهن ، من غير حاجة إلى سَوق المسألة إلى أودية بعيدة ولا علىَّ أن أثبت كون هذه النساء زائدات فى المقارنة بين نفوس الذكور والاناث بكل بلدة يوجدن فيها ، فهاهن ظاهرات فيها بمظهر الزيادة ، فعلى الرجال الذين لا مندوحة لهم عن الاقتران بهن أن يتزوجوهن سواء كانوا متزوجين قبل ذلك أو عزابا ويجعلوا ما يعطونهن ثمن العفة نفقة الاهل . انى ألزمهم ذلك ولا يرضاه المعارضون لانهم يحاولون أن يبقى الرجال دوما بموقف يسهل عليهم تبديلهن غيرهن و به يظهر ان المعارضين لا يرضون التحديد الذى يتضمنه تعدد الزوجات بالرغم من انهم يشكون التعدد ولذا قال أحد أدباء أوروبا « ان للمسلمين أن يفترشوا النساء الى أربع وللغربيين الذين يعدون أنفسهم أرقى مدنية منهم أن يفترشوهن الى ما شاءوا من العدد

« وكأنى بالمعارضين يتعجبون من قولى يقولون كيف يتزوج كل رجل من التى أراد أن يزنى بها وربما تكون من المومسات وتسكن بيتا من بيوت الدعارة الجهرية أو السرية وتعرض نفسها على من طرق بابها ، فكيف تتفق الكرامة وهذا الزواج ؟ لكنى أعود فأزيد فى تعجبهم قائلا : ان الزواج منها لا يخل بالكرامة الانسانية

قدر ما يخل الزنا بها ، وإن الرجل مهما بلغ من الكرامة فهو يسقط فى درك امرأة يريد أن يزنى بها ، لكن الزواج لا يحط من كرامة الرجل وإنما يُعلى المرأة وينجيها من سقطتها »

أما قول الكاتب « ومن حق المرأة أن تستأثر بزوجها وأن تستأثر بحبه وأن تقول له فى علانية إن أنت ضممت إلى صدرك امرأة أخرى فلسوف اضم إلى صدرى رجلا آخر فان العين بالعين والسن بالسن » وكان هو قد حكى عن أى امرأة فرضنا ان سألناها أنها تفضل أن يخادن زوجها ألف امرأة غيرها على أن يتزوج من امرأة ثانية كما سبق نقله منا مع التعليق عليه ؛ فعند الجمع والتوفيق بين هذين القولين تكون النتيجة أن تلك المرأة التى يخادن زوجها ألف امرأة سوف تضم إلى صدرها ألف رجل ، لان العين بالعين والسن بالسن بالرغم من اباحتها لزوجها تلك المخادنة الغير المحدودة فى ضمن تفضيلها على تزوجه من واحدة ، ولعل تفضيلها أن يخادن على أن يتزوج ليمكنها الاقتصاص منه إذ لا يمكنها أن تقول ان هو تزوج بعدى بثانية وجمعها الىّ فلسوف أتزوج بآخر وأجمع بين الزوجين لأن القانون لا يأذن لها فى ذلك ولا تأذن به فطرتها أيضا لأن بطنها لا يجمع بين ولدين من رجلين من دون اختلاط الانساب ، أما الرجل فيمكنه أن يقترن بعدة نسوة فيحصل منه عدة أولاد من غير وقوع التباس فى أبيهم أو أمهاتهم ، وهذا من

أبرز ميزات الرجل التى يمتاز بها على المرأة

فقد ثبت أن فجور الازواج يستفز الزوجات ويؤدى الى فجورهن أما وجود الفجار من الرجال فأمر لا يمكن انكاره بالكتمان بل لا يمكن كتمانه أيضا ، فالواجب أن نتداركه بتعدد الزوجات الذى أخذ المسلمون ينسونه منذ أقاموا مقامه الفسق

فان قال قائل كيف نتدارك الفسق الفاشى فى البلاد باحياء مبدأ تعدد الزوجات وليس جميع الفسقة من المتزوجين حتى نزوجهم ثانية ؟ فالجواب عليه ان الفاسق وبعبارة أولى من رأى نفسه على شرف الوقوع فى الفسق ان كان عزبا فليتزوج وان كان متزوجاً فليتزوج ثانية وثالثة ورابعة حتى يحصل له الاستغناء فان لم يحصل بالرابعة وتاق الى خامسة فليطلق احدى نسائه وليجعل الخامسة رابعة ، فان عد هذه الفعال تلاعبا بالأهل والعيال قلت ان كل ذلك أفضل من الفسق ، حنانيك بعض الشر أهون من بعض . وان سألونى عن منابع المال اللازم لهذه الزيجات أُرِهم منابع المال الذى ينفق فى سبيل الفسق وهو أكثر

ثم ان الرجوع الى ديننا فى تستر النساء وعدم اختلاطهن بالرجال يهدّىء الاهواء ويخفف نهمة الشهوات فيتفقان مع تعدد الزوجات فى ممانعة الفسق وربما يغنيان عن تعدد الزوجات نفسه لكونه موضوعا لمسايرة الفسق ومزاحمته

والدواء الثالث ضد مرض الفسق تسهيل الطلاق إلى حدما كما أشرنا اليه ، لان الاسلام شرع الطلاق كما شرع النكاح ، ولكن العادة الحديثة التى حلت ببلاد الاسلام وجعلت الطلاق من المحالات حتى ان الرجل المسلم لا ترضيه قرينته فيضطر الى مرافقتها طول الحياة فاذا خرج من بيته تدور عينه على نساء العالم ويتنفس الصعداء وربما يزنى ويتحمل اثمه ولا يتحمل عار تطليق امرأته ، هذه العادة انتقلت الينا من الغرب وقد رأى المغرمون منا بتقليد أهله أنهم لا يملكون طلاق زوجاتهم وسمعنا منهم اعتراضاً كثيراً على الطلاق فى الاسلام فحرّمناه علينا فى حين ان أهل أوروبا وأمريكا بدأوا يسعون فى تسهيله على أنفسهم ، فأخذوا منا التوسعة وأخذنا منهم التضييق ، فلو أن من سئم من قرينته حتى احتاج الى تجديدها بالسفاح استفاد مما بيده من استبدال زوج مكان زوج لوجد فى الاسلام منجاة من الوقوع فى المناهى بل ومن اقتحام غائلة تعدد الزوجات وربما وجد سعادة فى زواجه الثانى ووجدت زوجته القديمة التى هى جديدة لمن يتزوجها بعده سعادة عنده

ومما يعين على التعفف عدم تصعيب النكاح بتحديد سن الزواج وإرجاء النكاح إلى مابعد بلوغ الجنسين ببضع سنين ومن يضمن لنا أن الفتيان والفتيات يمضون هذه السنوات الطويلة المصادفة لريعان شبابهم وغليان دمائهم فى تبتل وتعفف . وكونهم فى دور التعلم

الذى لا بد أن يشغلهم زواجهم عنه لا يعد معذرة لآبائهم فى أن يعاملوهم بالتسامح والتغاضى عما يقضون به حاجاتهم الجنسية ولا يعد معذرة لهم أنفسهم لأنهم بالغون مكلفون ، ولا يؤذن لاحد فى الفسق بحجة انه فى دور التعلم لا يمكنه الزواج ، وقانون الاسلام يفرض الزواج على كل من يخاف على نفسه الوقوع فى الفسق ولا يبيح الوقوع فيه لاحد ولو فى سبيل التعلم ، وإنما واجب المسلمين أن يتدبروا ليكتشفوا طريق تأليف التعلم مع الزواج للمحافظة على عفة المتعلمين والفطرة لايجوز أن تجعل دور غلواء الشباب يمضى بالعطالة والعقم ولا بالانتاج فى طريق غير مستقيم ينتهى الى العقم أيضا ، لكنا رأينا أن الغربيين لا يتزوجون فى عنفوان شبابهم فقلدناهم وما فكرنا فى انهم لا يبالون بما إذا كان شبانهم يقضون حاجاتهم الجنسية فى طرق لاتقبلها آداب الاسلام الاجتماعية من مخالطة الفتيات ومحاصرتهن ومبادلتهن المحبة وربما فكرنا فى ذلك وقلدناهم فى عدم المبالاة

الحاصل ان الاسلام يسر يريد بنا اليسر فى المعاملات ، وخطته فى معاملة الازواج مع الزوجات تدور على امساك بمعروف أو تسريح باحسان كما عبر به القرآن ، والنكاح وان كان ميثاقاً غليظا كما عبر به القرآن أيضاً وكان الطلاق أبغض الحلال الى الله وكان الله لا يحب الذواقين والذواقات كما وردا فى الحديث النبوى فليس شىء من هذا وذاك وذلك يلصق أحد الزوجين بالآخر بحيث

لا يتمكنان من الافتراق كما فى أنكحة سائر الملل ، فيتولى الرجل الطلاق وتتولاه المرأة باشتراطه عند عقد الزواج وبالمخالعة وقد يتولاه الحكمان المبعوثان من أهليهما لاصلاح ذات البين لان دوام رابطة النكاح بين الزوجين مهما كان مطلوبا فى الاسلام ومحبوبا فهو مشروط بعدم مخافتهما ان لا يقيما حدود الله وهذا تعبير القرآن أيضا وقد فسروها بحقوق الزوجية التى لهن منها مثل الذى عليهن بالمعروف مع ما للرجال عليهن من درجة ، وفى التعبير ما لا يخفى من إعظام تلك الحقوق . ثم لا يخفى أن المحافظة على العفة من الطرفين تدخل فيما هو المطلوب حصوله بينهما من اقامة حدود الله دخولا أولياً فعند مخافة التعدى من أحدهما لحدود الله يتعين الطلاق بلطف ومعروف واحسان ولا يُعقل لهما قضاء العمر فى عدم التراضى . ويعد تعدياً لحدود الله من جانب المرأة أن تمنع زوجها من العمل بمبدأ تعدد الزوجات الذى هو من حقوق الزوج عند حاجته اليه

وهذه الحرية فى النكاح والطلاق والسهولة التى يلاقيها الزوجان بصددهما جعلت الاسلام فى التوسط بين ضيق مبدأ المسيحية فيهما وفوضى الاشتراكية ، فهو لا يبعد فى مبادئه عن الاشتراك فيضمن للانسانية الفوائد التى تنتظرها منه ويغنى عن افراطاته ، وفى زكاة الاسلام التى ترى حقا للفقراء في أموال الاغنياء

أدلُّ شاهد على هذا ، كما أن سهولة النكاح والطلاق فى الاسلام التى تتضمن سهولة استبدال زوج مكان زوج هى من هذا القبيل أى مما يقرّب به الاسلام من الاشتراك ، وبهذا التسهيل يكون الاسلام قد اعترف بحاجة الانسان الى التجديد الذى أطلقه الفسقة والاشتراكيون ، والاسلام يراعى التجديد مع التحديد ويربطه بالنظام ، وكان الانصار أهلُ المدينة ينصرون المهاجرين من أصحاب النبى ﷺ ورضى عنهم أجمعين ، الى حدّ أن من عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحداً منهم ، وهذا مما يستشهد به على سهولة النكاح والطلاق فى الاسلام وعلى أن المقصود منهما قد يكون الايثار والتضحية لا الاستئثار

نرجع الى تعدد الزوجات ومقارنته مع التعدد من دون زواج — الذى يفضله المتشبعون بعقلية تقليد الاجانب عن الاسلام على التعدد المشروع — ويقوّلون النساء قولهم بالتفضيل . وقد قلت عن هذه المقارنة فى كتابى المار الذكر « ان فى التعدد الغير المشروع ضررَ الزوج بفقد عفته ، وضرر المرأة التى اقترن بها بفقد عفتها ، وضرر الزوجة من حيث كونها زوجة الرجل المفقود العفة وضررها أيضا من حيث احتمال ان تفقد عفتها انتقاماً من زوجها ، وضرر الزوج من هذه الجهة ، وضرر زوج المرأة التى اقترن بها الزوج ان كانت متزوجة ، وضرر الزوجة التى تقترن بزوجها الزوجة

المنتقمة ان كان متزوجاً ، وضرر الاولاد المضاعة بين المقترنين وقريناتهم وبين المقترنات وقرنائهن ، وضرر كل من الطائفتين من الامراض المُعْدية فى هذه الاقترانات ، وضرر زوجات المقترنين وأزواج المقترنات من انتقال العدوى اليهن واليهم . فهذه عشر مضار قد كفت الثلاث الاخيرة منها فى افساد حال الدنيا الحاضر . ومن حكمة الله تعالى أنه يسلط معضِلات الامراض على الاقترانات الغير المشروعة . وفى تعدد الزوجات مقابلَ هذه العشر ضرر واحد خاص بالزوجة وهو كون زوجها تزوج بامرأة أخرى وهو ضرر ان أخلّ باستئثارها بزوجها فلم يُخلّ بشرفها لان زوجها استعمل حقه الذى أعطاه قانون الاسلام كما لو وُلد بعد الولد شقيقهُ فأخل باستئثاره بأبويه

ولست بالذى لا أقدر قدر الحب والقلب وما بينهما من صلة تحيي وتميت ، ولا قدرَ أصحاب القلوب من الازواج الذين تمنعهم محبة زوجاتهم أو على الاقل رحمتهن عن أن يتزوجوا عليهن ولو كانوا فى حاجة اليه ، وقد قال رسول الله ﷺ من رق لامتى رق الله له . وانما أنا لا أفهم للكتّاب المعارضين الظاهرين بمظهر الرعاية والاهتمام بقلب الزوجة الاولى وحبها ، تسامحَهم مع الخيانة الموجهة اليها والى محبتها من جانب الزوج الذى يخادن امرأة غيرها بدلا من أن يتزوجها مع أن الاعتداء على القلب فى الصنيع الاول أشد

وأبشع لكونه اشراكا فى الحب يتضمن سقوط المشرك والشريكة

ثم ان تعدد الزوجات مهما ثقل على الزوجة الاولى وأضرّ بها ففيه منفعة لاخرى من جنسها لانه صيّرها زوجة مثلها بدلا من أن تصير خليلة ساقطة، وان الانسانية ان نظرتْ الى تعدد الزوجات وما يقابله من التعدد بشكل غير مشروع، وهو ما لا بد أن يقوم مقام التعدد المشروع ويملأ فراغه فى الحاجة البشرية، ان نظرتْ الى هذا وذاك بعين الانصاف وجدتْ تعدد الزوجات أوفق لمصلحة النساء العامة وصلاحهن العام، والمعارضون ينظرون الى مصلحة بعض منهن دون بعض

وفضلا عن ذلك فان تعدد الزوجات ان أخل بمساواة الجنسين فالرجل لايساوى المرأة، ينادى بعدم المساواة كون فطرة المرأة تأبى ان تجازى تعدد الزوجات بتعدد الاوزاج كما ذكرنا، ثم انها لا تستطيع أن تلد فى عام واحد إلا مرة واحدة مع أن قوة الانتاج فى الرجل تتجدد كل يوم ولا يشغلها شاغل، و المرأة تستغنى عن الرجل أيام محيضها و مخاضها و نفاسها وتهرم قبل الرجل فتنقطع عن الولادة و يعتريها القدم قبل الهرم فتكون بكرا و ثيبا و والدة فتفقد من طراوتها كلما مر عليها دور من هذه الادوار، فلو وقفنا الرجل والمرأة فى حد المساواة انصافا للمرأة لكنا ظلمنا الرجل الفائق فى فطرته، ألا يرى ان المولود يُفضّل كونه ذكرا حتى عند

أمه ، وهل لايدل هذا على اعتراف من جانب المرأة بفضل الرجل ؟

وانما شاعت دعوى مساواة المرأة للرجل فى العصر الحديث تحت حماية بعض الرجال ومحاماتهم عنهن لحاجة في أنفسهم يحاولون قضاءها بالتقرب اليهن ، فلو فازت دعوى المساواة فازت وهى مساواة ممنوحة غير حقيقية

والنساء فى عصرنا يطاولن الرجال برفع كعوب أحذيتهن مطاولة مبنية على التكلف و تغيير الخلقة لكنهن على خطر الكبوة عند السباق معهم بتلك الاحذية

ولاجل ما ذكرنا من كمال قدرة الانتاج فى الرجال حتى ان الرجل الواحد لا يعد له جماعة النساء الغفيرة ، كان طريقُ اكثار التناسل فى الامم تزويج رجل واحد عدة نسوة اعنى العمل بتعدد الزوجات ، ذلك المبدأ الاسلامى الذى ستحتاج حكومات الغرب إلى تطبيقه فى بلادهم لا سيما بعد تطبيق واحدة منهن ، أما كثرة النسل فلا شك فى كونها من أجلّ ما ترغب فيه الامم لاكتساب القوة ولا يرتاب فى نفعها أحد الا كاتب كتب يوما فيما تعوّد كتابته فى الاهرام ينهى المصريين عن اكثار الاولاد فى حين أن حكومات الغرب تتنافس فى اكثار عدد شعبها و تكافىء المكثرين و تجزل لهم أنواع العطاء كما أن نبينا ﷺ قال لنا قبل ذلك « تناكحوا تكثروا فانى أباهي بكم الامم يوم القيامة » و إنى عجبت من شذوذ

هذا الكاتب الذى نحمد الله على أنه لم يتدخل فى نقاش مسألة تعدد الزوجات فلو تدخل لعد كونه سببا لكثرة النسل من مضاره

وأعجب منه ماسبق لكاتب كبير فى تركيا [1] عند مناظرتى اياه فى مبدأ تعدد الزوجات من أنه لم يعترف بنفعه لكثرة النفوس وقد ذكرته هنا ليكون انموذجا لمكابرة المعارضين فى هذه المسألة وشاهداً على وهن مواضع أقدامهم لحد أنهم ربما يحتاجون الى تعزيز دعاويهم بما يخالف البداهة

ثم إن الرجال هم الذين يتحملون أقسى وظائف الحياة، ومشاركة النساء اياهم فى بعضها فى العصر الأخير بعيد عن المساواة كل البعد، يكفيك أن أعباء الحروب الاساسية على كواهلهم والدماء الجارية فيها كالانهار دماؤهم، فالأمم إذن فى حاجة إلى أن تقوم نساؤهم بتضحية تتكافأ بعض الشىء مع تضحيات الرجال و تلافى ماتُحدث فيهم التضحيات من النقص، فينبغى لهن أن يحاربن أنفسهن ويَرُضنها لاحتمال تعدد الزوجات فيعوضن بهذا الحمل الثقيل مايضحيه الرجال بأرواحهم فى ميادين الحروب . وما نقلنا عن الكاتب المعارض من قوله « على أنه ان قامت حرب ومات فيها عدد كبير من الرجال أمكننا حينئذ أن نرجع الى ديننا والى تطبيقه بحسب اختلاف الزمان » اعترافٌ منه بمبدأ تعدد الزوجات و بكونه حقاً

(١) المرحوم جناب شهاب الدين بك

للرجال عليهن حيال الحروب ، صدر منه بغير شعور به ومن غير شعور بان التسويف فيه لا يتفق مع المصلحة المعترف بها ، لأن تعدد الزوجات الذى سوف يطبق بعد وقوع حرب و بعد موت عدد كبير من الرجال فيها ، انما يأتى بثمراته فى عشرات من السنين بعد انتهاء تلك الحرب ، والحال أن الامة المتيقظة من واجبها أن تظل عقب انتهائها من حرب قادرة على حرب أخرى فيلزمها أن تكون دائما على استعداد ولا تنتظر أوان الحاجة . وقد كنت كتبت فى تركيا قبل خمس وعشرين سنة أن تعدد الزوجات الذى تحمل النساء أثقاله مقابل لحروب الرجال ، ثم رأيت حديثاً نبوياً وكتبته فى كتابى المار الذكر وهو « ان الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال فمن صبر منهن ايمانا واحتسابا كان له مثل أجر شهيد » أخرجه الطبرانى عن ابن مسعود باسناد لا بأس به [الجامع الصغير] ، ففى الحديث اشارة الى تعدد الزوجات والمراد من كتب الغيرة على النساء كتب مايثير الغيرة وهو تعدد الزوجات وانما فسرنا بهذا لان الغيرة توجد فى الرجال أيضاً لكنهم لم يكلفوا بها أى بتحمل مايثيرها كما كلفت النساء

ولنختم المقال فقد طال على القارىء وخلاصته أن فى تعدد الزوجات جُنَّةً من البغاء وقوةً للامة العاملة به

السفور والاحتجاب

السفور والاحتجاب

لا خلاف فى أن الشرق مهد العلوم والمدنيات وسبب ذلك يرجع الى كونه موطن الانبياء ومهبط الوحى الالهي، حتى ان مدنية اليونان التى هى أقدم مدنية فى أوروبا والتى استنار منها الغرب قبل ما استنار من علوم الاسلام ومدنيته المنصبة الى اسبانيا بأيدى العرب الفاتحين، مقتبسة من اتصال اليونانيين بسكان سواحل آسيا المحاذية لسواحل اليونان بمناسبة التجارة وغيرها فضلا عن كون أصل اليونانيين من المهاجرين الشرقيين

ولا خلاف أيضا فى أن السفور حالة بداوة وبداية فى الانسان والاحتجاب طرأ عليه بعد تكامله بوازع دينى أو خلقى يزعه عن الفوضى فى المناسبات الجنسية الطبيعية ويسد ذرائعها ويكون حاجزا بين الذكور والاناث. وقد خص الاحتجاب بالمرأة دون الرجل لاشتغاله فى خارج البيت ولان موقفه فى المناسبات الجنسية موقف الطالب وموقف المرأة موقف المطلوب فيكون منه الطلب والايجاب ومنها القبول أو الاباء، واحتجابها وسام ابائها وهى متحلية به أمام الرجل كيلا تحتاج الى الاباء والرفض باللسان أو اليد ففيه صونها عن أن تكون عرضة للرجال فاذا تصدى لها الرجل

وراودها بلحاظه وأرادت هي قبول مراودته تسفر له فهو ينم عن قبولها الطلب ، وسفورها لرجل معين من غير سبق طلب منه شعار قبول متقدم على الطلب واغراء له بالطلب ، وسفورها العام شعار القبول والاغراء العامّين

ثم ان الاحتجاب كما يكون تقييداً للفوضى فى المناسبات الجنسية الطبيعية ويضاد الطبيعة من هذه الحيثية فهو يتناسب مع الغيرة التى جبل عليها الانسان ويوافق الطبيعة من ناحيته الاخرى إلا أن الغيرة غريزة تستمد قوتها من الروح، والتحررُ عن القيود فى المناسبة الجنسية غريزة تستمد قوتها من الشهوة الجسمانية فهذه تغرى بالسفور وتلك تبعث على الاحتجاب وبين هاتين الغريزتين تجاف وتحاربٌ يجريان فى داخل الانسان فالمدنية الغربية انحازت الى الطبيعة الاولى وقررت أن لا تحرم المنتسبين إليها التمتعَ الجاذب الحلو فى سفور النساء واختلاط الجنسين في الاندية ومجالس الانس والسهر وضحت الطبيعةَ الثانية فى سبيل ذلك التمتع ، فالرجل الغربى يخالط نساء النـاس ويقبل أيديهن ويجالسهن سافرات ونصف عاريات ويخاصرهن ، مقابل التنازل عن غيرته على زوجته وأخته وبنته فيخالطهن غيره ويجالسهن ويخاصرهن ويرى ان عدد ضحاياه قليل بالنسبة إلى ما يربح وربما لا يوجـد من يضحيه فيخلص له الربح . والحفلات الراقصة التى هى من لوازم المدنية

الاجتماعية فى الغرب ليست إلا تأييداً علنياً للمعاشرة المختلطة وتقريبا لأحد الجنسين الى الآخر فى الاقتران والالتصاق وقضاء على الغيرة بين ظهرانى من يُتوقع منهم التحمس بها ، فكأن تلك الحفلات أفراح القران العام

والقضاء على الغيرة بلغ عند مدنية الغرب الى أن اعتبرتها من النقائص ، بالرغم من أن الانسان يشعر بفطرته انها فضيلة ، وتواضع كتابها وشعراؤها على تغيير هذه الفطرة ، من ذلك ما قاله الشاعر الفرنسى المشهور (هوگو) فيما كتبه الى مؤتمر الصلح المنعقد فى (لوغانو) سنة ١٨٧٢ « . . نرى فكرة الاستيلاء انقلبت الى فكرة الاختراع وسيقوم اخاء الامم السميح مقام اخاء الملوك المفترس وسينجو وطننا من الحدود وميزانيتنا من الطفيلية وسفرنا من العرقلة وتربيتنا من العنف الحيوانى وتجارتنا من الجمرك وشبيبتنا من المعسكر وشجاعتنا من المقاتلة وعدالتنا من المشنقة وحياتنا من السنان ولساننا من العقال وضميرنا من التحكم والحقيقة من البطلان والمعبود من الراهب والسماء من جهنم والعشق من الغيظ والغرض » وقد أراد بخلاص العشق من الغيظ والغرض أن تقوم سعة الاريحية مقام ضيق الغيرة

ومع هذا فلا يزال أصحاب الطبع السليم فى الغرب يحسون مرارة هذه المعاشرة المختلطة وينطقون بالحق الناعى على حسراتهم

فقد نقل الكاتب التركى الاكبر المرحوم جناب شهاب الدين بك فى كتابه المسمى (أوراق الايام) عن مدام (دولارومارديروس) التى وصفها الكاتب بأنها كبرى شاعرات فرانسة، قولها له: «قولوا لنسائكم ليقدرن قدر سعادتهن، وما يضطررن اليه من الحياة المحجبة التى تصونهن عن اضطرابات كثيرة. فلو علمن عدد محباتى اللائى بكين على منكبىّ شاهقات. ان فى اذنىّ ودائع من شكايات النساء تفتت الاكباد. نعم ان دخول حفلة راقصة فخمة يرى كتصريح جدير بالطلب. ولكن الغيرة التى تنهش قلب زوجة تدخل هذه الحفلات مع زوجها الذى تحبه، أشبه بأفعى رقطاء يالها من أفعى، فهل أنتم تعرفونها؟ فالحفلات الراقصة ومسارح التمثيل وجميع أندية التلاقى ماهى الا دُور تعذيب لسنت أو فيس، وما هى الاجهنم أمام رجل يهمه أمر زوجته أو امرأة تحب زوجها، فهل أنتم فاهمون؟ أفيدوه اذاً لزوجاتكم واخواتكم»

ومن الدليل على كون السفوريين يتكلفون اسكات صوت الغيرة فى قلوبهم واماتتها مقابل ما يتمتعون به من الاختلاط بنساء غير نسائهم، أن مقلدتهم من المسلمين لا يسمحون بالدخول على نسائهم الا لمن يسمح لهم بالدخول على نسائه فلو قصدوا بالسفور الذى يدعون له الى تحرير المرأة من اسر الاحتجاب كما يدّعونه لما حافظوا على شرط المعاوضة فى سفور نسائهم عند أى رجل من معارفهم

ومن الدليل الجلى أيضاً على أن مايرمى اليه سفور النساء العصرى ليس بشىء عادى يتفق مع الصلاح وينبنى على طوية حسنة من الذين يدعون له ولا يزيد على مساواتهن بالرجال فى أنهن خلقن حرائر كما أنهم خلقوا أحراراً من الدليل على ذلك أن سفورهن لا يقف عند حد سفور الرجال فيكشفن عن أذرعهن الى آباطهن وعن صدورهن وظهورهن وسيقانهن فى حين ان الرجال لا يرون أى لزوم للكشف عن هذه الاعضاء فالسفور خرج اليوم عن معناه فى أصل اللغة وهو الكشف عن الوجه وتحول الى ما نراه من نصف التعرى أو ثلثيه والاختلاط فى هذه الحالة بالرجال الاجانب، فنحن لا نجيزه لبلاد يهتم أهلها بعفة نسائهم ونراه رائداً للفسق والفساد ونتعجب من كتّاب اتخذوا الدعاية للسفور مبدءاً لهم ثم نراهم الفينة بعد الفينة يشكون تهافت النساء على أنواع التبذل والاستهتار فى المصايف وعلى شواطىء البحر واندفاع الفتيان والفتيات وراء الشهوة الجامحة لا سيما فى (استانلى باى) التى وصفها أحد شعراء مصر الكبار بقوله من قصيدة :

ترى العينُ فوق الرمل سرباً من المهى
مبعثرة فى الرمل بعثرة الزهر
تميل على الجنبين فوق أديمه
ممددة الساقين مثنية الخصر

وتبصر فوق البحر أخرى تجمعت
تجمع سرب الطير يخرج من وكر
وبينهما سرب يروح ويغتدى
على مثل حال الموج فى المد والجزر
عراة نواحى الجسم إلا بقية
تلوح هى الاخرى ودعك من الستر
وتجلس فى النادى فتاة الى فتى
على الورد بين النقل والكأس والخمر
هنالك كل اثنين ضمهما هوى
وكل مبيح العرض فى المعرض الحر
ففى البحر سوآت وفى البر مثلها
فيا ضيعة الاخلاق فى البر والبحر

وقال آخر :

هل رأيت الجموع محتشداتِ فوق شط الخضم أو سابحاتِ
ورأيت الحسان يمشين زهواً مقبلات يتهن أو مدبراتِ
ضللتهن قدوة الوالدات ومن الوالدين سوء أناة
ومن الزوج غض طرف لضعف أو طباع فى نفسه فاسدات
وانغماس الشقيق فى شهوات لا يبالى بمنهج الاخوات
فاطّرحن الحشمة يحسبنها من باليات الأمور والعادات

وكشفن الجسوم إلا قليلا وتركن الحياء فى الحركات
يتخطرن جيئة وذهاباً مبديات الدلال مستهترات
ويغالين فى مزاح ولهو لسن بالعرف والنهى حافلات
تلتقيهنّ تارة راقصات مع رجال وفتية وَلِدات
وتراهن مرة فوق رمل جنب رهط الشباب منبطحات
ويغازلن باللحاظ شبابا وبهز الخصور والضحكات
مرة يهترشن دون حياء ويهارشن فتية مرات
يتخبطن موجة اثر أخرى قافزات فى خفة صاخبات
حالةٌ تجرح الفضيلة حقا ولها تدمَى نفس ذى النخوات
شطَّ (استانلى) أنت عارٌ لمصر وعليها من أشنع الوصمات
أيها البحر طهر القوم واغسل ما تراه منهم من المنكرات

وقال آخر :

ها قد ترحلنا فقل لى ماذا رأيت على (ستانلى)
ماذا رأيت وقد وقفت ضحى على الرمل المطل
من كل جسم ضاحك يوحى إلينا بالتملى
من كل غازية القلوب تسير فى صلف ودل
أو كل ساكنة العراء وكل نازلة لظل
زمر من الحسن الرفيع تطوف فى ضن ونيل
هذى تحيى من تشاء وتلك تبخل أى بخل

ضاقت بهن الارض حتى كدتُ أجلى من محلى
وأخذت من عجبى أحدّق فى المشارف والموّلى
فاذا الظباء الآنسات تمر لا تلوى بمثلى
وإذا الخصور الضامرات تجلُّ عن وصف وقول
وإذا الجفون الناعسات تكاد تقتل أى قتل
وإذا الوجوه المشرقات تكاد تخطف كل عقل
يا قلب هذى كعبة الدنيا فقف يوماً وصل
للعاريات كأنهن عرائس البحر الاجل
من أى واد فى الكنانة أو مكان أو محل
طلع الجمال العبقرىُّ على ثرى الشط المدل
مهما أقلْ فيه فلستُ ببالغ جهد المقل
يا قلب والحسن استوى خل الوقار اليوم خل
وابسم كما بسم الهوى وانزع هنالك كل غل
وانسَ الحياة وما بها ودع الشقاء لما يسلى
وانعم أمامك بالغوانى قد برزن بألف شكل
ولبسن أمواج الخضم البيض إلا فى الأقل
وسبحن يا للحسن كيف يغيب فى ماء ورمل
ومُتاجرات بالغرام يسرن من خل لخل
يغوين آلاف الرجال ببسمة أو بعض دل

فاذا القلوب تظل ترعاهن فى سفر وحل
هذا يمنّى بالوصال وذاك يُمنى بالتخلى
والقوم مما قد أصابهمُ على خطأ وجهل
ويلى على الظبى الذى قد شرّد الاحلام ويلى
فى سكرة الحلم الجميل أذاد عن نهل وعل
من علم الظبى الغرير ضراوةَ الآساد قل لى

ويقول عنها كاتب من النواب :

« هذا فتى وهذه فتاة . أى والله هما فتى وفتاة من أبناء هذه الحضارة التى نكابد آثارها . كلاهما يبدو فى المصيف وفى ضحوة النهار خارجا من مأواه (الكابين) عريان حاسر الرأس بادى السوأتين يقطع ما بين مأواه والشاطىء على هذه الصورة ثم لا يبتدر الماء ليستر به سوأته بل يهيم على طول الشاطئ أو على امتداد الطريق كما كان يفعل الانسان الاول حين ينطلق من مأواه يطلب قوته فى صيد يباغته ، فكلاهما طالب صيد ، غير أن الشباك مختلفات

وهذه لمة من بنى آدم و بنات حواء . أى والله هى لمة من بنى آدم الواغلين فى صميم المدنية و بنات حواء الواغلات فى ترف العصر وزخرفه تستشرفها على بعد فتخطو اليها لترى ما خفى من أمرها فاذا انتهيت اليها رأيت العراة متلاصقين يرقصون رقص

المدنية السمحة ما احتملت النفس مضضه وهو فى الغرف والابهاء فكيف احتماله وهو فى الفضاء والعراء

وقد يرى فى جانب آخر أشباه قوم آخرين قد يكونون مثنى وقد يكونون ثلاث وقد يكونون أكثر من ذلك وهم أمام المصور فى أوضاع ليس وراء تبذلها غاية لمستبذل »

وتقول احدى الكاتبات : « لقد رمانا القدر وسوء التربية ببعض المجازفات المعتوهات اللائى قلدن الراقصات فى الاستحمام على الشواطىء ثم تبعهن غيرهن حتى أصبح الأمر شايعا بين كل الطبقات إلا من عصم ربك تمشى المرأة المستهترة على الشاطىء كمن يتخبطه الشيطان من المس تجمح فى الغواية لايكسر شكيمتها قانون ولا يكبح جماحها شىء ، تروح وتغدو بملابس الاستحمام الضيقة المهلهلة وتتثنى وتتلوى وتتمايل وتختال ثم تنظر الى الجالسين وتطالع على وجوههم ماذا فعلت كل هذه الوقفات فى نفوسهم وهل راقهم منظرها أو أنهم عليها ناقمون

« ... كانت المرأة بليدة فاترة هامدة لاتشعر بشىء ولاتحفل بمحاسن الحياة ومباهجها ترسف فى الأغلال تحيى حياة صامتة كئيبة قاتمة وكان أنصارها يقولون بأن كثرة الضغط تسبب الانفجار فصحت نبوءتهم ، وهاهى انطلقت على غير هدى واندفعت اندفاعا فهدمت سياج الفضيلة بمعاول المدنية والجهل فمن حجاب

ممقوت ومن خدر مكنون لا تراه العيون الى الشارع مكشوفة حافية عارية وسوست لها المدنية وخدعتها فحسبت أن حرية المرأة هى الحرية الخارجة على الحياء الهادمة للآداب وغفا الآباء والازواج وغفا أولو الشأن وتسامحوا ولم يفكروا فى إرهابها وتخويفها ومنعها

« فهل جرى فى ظن أحد يدعو الى السفور أن تخرج المرأة هكذا عارية من الفضائل عارية من الملابس لتواجه الشمس كما تدعى ؟

« فلو علموهن الدين لتطهرت نفوسهن عن الدنايا ، لو علموهن الدين لما زلت القدم ، ولكان لهن درعا يقيهن شر الفساد

« وهل جرى فى ظن أحد أن تسكت الحكومة ويسكت السادة العلماء ، وهل جرى فى ظن أحد أن تتفضل ادارة المطبوعات بالغيرة على الاخلاق فتطلب منع نشر صور المستحمات وتترك المستحمات لحما مكدسا على الشواطىء !

« والمرأة المستهترة تعرض جسمها على أنظار الناس تستجدى النظرات الخائنة تطرب لها ، وهم هناك على الشواطىء يحمل بعضهم بعضا ويعبثون ولا يتورعون . لم ينشد لنا نصير نا قاسم أمين هذا الذى اخترعته المرأة وتفننت فيه ولو كان يعلم الغيب لالقاها فى غيابة السجن لا تخرج منه أبدا أراد قاسم أن تتعلم المرأة وطلب مساواتها بالرجل »

ونحن نقف هنا وقفة فنقول للسيدة الكاتبة : بل هذا هو

الذى نشده قاسم أمين وأضرابه من أنصار السفور ، وكان كل من له عقل وخبرة بأهواء الرجال والنساء وميولهم الغريزية يعرف أن عاقبة السفور ستكون هذه المخازى لان فكرة السفور حصلت فينا تقليداً للغرب وكنا عالمين بأن سفور المرأة الغربية غير مقتصر على كشف وجهها . ومما يدل على كوننا لم نتعظ بعد هذه التجارب المخجلة لدعاة السفور فينا ، ظننا بأن السفور فى الغرب لا يتضمن تلك المخزيات المنافية للآداب والاخلاق حتى أصبح كالعادة عند الذين يجلسون للوعظ والارشاد من دعاة التجديد الذى فيه السفور وغيره ، أن ينبهوا على الفرق بيننا وبين الغربيين فى الاستعداد للحرية ويوصونا بمراعاة التدريج الى أن نبلغ مبلغهم فى العلم والرقى ولكن لا العلم والرقىّ ، ولا اى شىء ، لايغلب على الطبيعة ، فالسفور على حد انكشاف نساء الغرب - الذى هو قدوة الشرق اليوم - واختلاط المرأة بالرجال يكون لهما أثرهما الطبيعى البتة الافى النادر الذى لايبنى عليه الحكم ، وليس التدريج فى السفور ولا الاستعداد له الا تدريجا فى المفسدة والا استعدادا لما ينجرّ اليه ، فلا تغرنكم كلمات دعاة السفور المموهة والقيود الاحترازية التى ذكروها لتبرير دعايتهم

ثم انى ارى الكاتبة الفاضلة تأسف على عدم تعليم المرأة الدين ليكون لها وازعا ويقيها شر الفساد ، ونراها مع ذلك توافق قاسم أمين

على دعوى مساواة المرأة بالرجل التى لايقبلها الدين . على أنى أقول مخالفا للكاتبة : لو علموهن الدين بالمعنى الذى يريدونه من الدين من غير أن يجمعوا اليه سد أبواب الفتن وذرائع الفساد ـ كالسفور واختلاط الجنسين ـ الذى هو من الدين أيضا لما كفى وازعا وواقيا

وقال كاتب (ما قل ودل) : « فى البلاد التى تحبو الى الحرية يكثر التزعزع الاجتماعى كالرجل الذى يظل محجوب البصر بعد عملية جراحية فى عينيه لا يستطيع أن يواجه النور فهو فى حاجة الى بصيص ضئيل يتزايد شيئا فشيئا حتى يجىء يوم واجه الشمس ساطعة »

هذا أبلغ مثال يحاول أنصار السفور التدريجى أن يتمسكوا به ، ومعنى هذا أن مسرح (ستانلى باى) لو كان عرض على أهل البلاد بعد عشرين سنة مثلا لما هالهم كما هال اليوم حتى انصار السفور مثل هذا الكاتب . وانظر الى قوله : « كنا نهلل كل مرة نسمع فيها بفتاة مصرية نابغة (وعد هنا بعض الفتيات اللاتى تعلمن فى اوربا) نهلل ونكبر ويقول ضعاف الاحلام والعقول هذا اسراف فى تمجيد المرأة والانتصار لها ، وها هو الرد عليهم فى (ستانلى باى) فانما يجب أن ننفخ فى صور الفضائل ونمجد اللواتى يجلسن الى مكاتبهن السنين الطوال يدرسن ويبذلن شبابهن فى خدمة المجتمع فهؤلاء هن اللواتى يُحضرن هذا المجتمع للحرية العاقلة

الرزينة الكريمة ، لا اللواتى يقتبسن آخر أزياء البيجامات من شاطىء ستانلى باى »

من الغريب ان تكون (ستانلى باى) ردا على ضعاف العقول الذين يخالفون الاسراف فى تمجيد المرأة والانتصار لها ، أليس في تكوين (ستانلى باى) يد لانصار المرأة العصرية ، فلماذا اذن لم تكن (ستانلى باى) موجودة فى غابر الزمان الذى لم يوجد فيه أنصار المرأة ودعاة السفور ، فها نحن بفضلهم وبفضل انتصارهم قد رأينا بجنب النوابغ الثلاث اللاتى ذكرهن الكاتب ثلاثة آلاف أو أكثر من اللواتى قال عنهن : « فالفتاة المصرية التى تعتقد نفسها آية الآيات فى الرشاقة والأناقة والتى بدأت تقتبس البيجاما الساحلية الفضفاضة وتكشف عن نحذيها ونهديها وظهرها وصدرها والتى تعرف كيف تجدح من وراء الجفون بنظرات معسولة فيها السر والخفاء والتى تحسن الرقص الحديث وتعرف كيف تتلاعب بالألفاظ والقلوب ، هذه الفتاة المحدثة على الحرية هذه الحداثة هل تعرف ما تنشده ؟ والمرأة الاوربية التى تقلدها اليوم الفتاة المصرية هى امرأة من بلاد عريقة فى الحرية ، حرية اشترتها تلك البلاد بدمائها وفى مقدمة الصفوف النساء ، وتلك المرأة تعرف كيف تنظم بيتها وكيف تطرز ثوبها وكيف تعيش بالمليم والدانق وكيف تربط ميزانيتها وكيف تربى الى جانب هذا كله وقبل هذا

School of Oriental Studies

كله ولدها ، فهى اشترت حريتها بثمن باهظ : اشترته بما بذلته من دم وتضحية واجهاد ، انها اشترت الحرية على مدى اجيال »

الكلام فى تبذل المرأة الشرقية المقلدة واسرافها فى الانكشاف والخلاعة ، ولا علاقة له بكون المرأة الاوربية تعرف كيف تنظم بيتها وكيف تربط ميزانيتها الخ.. فلعل الكاتب يغفر للمرأة المصرية اسرافها فى التبذل والانكشاف لو عرفت ماتعرفه الاوربية ، وكان مايلزمه أن يقول ان المرأة الأوربية لا تسرف هذا الاسراف فى الانكشاف والاغراء بالرجال لكنه لايستطيع هذا القول ولواستطاعه لكفاه أقواله فى خارج الموضوع مثل كون المرأة الاوربية من بلاد عريقة فى الحرية واشتراؤها الحرية بثمن باهظ مما لايبرر شيء منه اسراف المرأة فى الانكشاف ، نعم ان نساء الشرق ولاسيما المسلمات اشترين الحرية من غير ثمن بفضل الرجال المحامين المتطوعين ، وكيفما كانت المرأة نالت حريتها بثمن باهظ أو رخيص أو من غير ثمن ، وسواء كانت فى الشرق أو الغرب ، فسفورها بالمعنى العصرى لايخلو عن افسادها . وأكرر لك قولى بأن لايغررك تقلب الكاتبين عن السفور فى الكلمات الخلابة الفارقة بين نسائنا ونساء الاوربيين الرامية الى أن السفور لايضرهن والموهمة بأن نساءنا اذا ارتقين مثلهن فلا يضرهن السفور أيضاً وليس الذنب فى السفور وإنما فى اساءة استعماله ، فأمثال هذه الاستدراكات من دعاة السفور انما

يقصد بها سدل ستار من التضليل على جناية السفور الفاضحة ، والعجب أنه يندر من لاينخدع بها من أصحاب القلوب الصافية فيؤمنون بالفرق بين المرأتين ويعتذرون به عما وصل اليه حال المرأة المسلمة من السفور ويعقدون الأمل على رقيها مثل الاوربية حتى تخلص من تبذلها الحالى . عمت هذه الفكرة ولم ينج من تأثيرها وعلى الأقل من بعض تأثيرها حتى الوسط الدينى ، فقد قرأت مقالة قيّمة فى مجلة دينية أجاد كاتبها فى شرح مضار الحضارة الغربية بالمرأة المصرية وفى ضمن هذا الشرح قوله : « ورثنا من هذه الحضارة غير الاباحية المطلقة للفتاة بدعة جديدة هى بدعة العشرة قبل الزواج منتشرة فى المدن المصرية على وجه الخصوص ، وأصبحنا نحاكى الفرنجة فى هذا الضرب من ضروب الاقدام على الزواج ، ولكن مع الاسف الشديد هم ناجحون فى خطتهم فى غالب الاحيان ونحن مخفقون فى كل حين ، وهم موفقون ولكننا لن نوفق ولو بعد حين ، ذلك لانهم يحكمون ترتيب الخطة جادون فى عملهم وأما نحن فنقدمون عليها بلا ترتيب ولا نظام ولا استعداد ، عابثون فيها أشد العبث »

والحق الذى يليق بأن يقال في مثل تلك المقالة القيمة الداعية الى سواء السبيل أن العشرة قبل الزواج تضر فى كل بلدة شرقية أو غربية ولاينفع معها إحكام النظام مادام الفتى يختلى مع الفتاة ،

كما أن الحق الحقيق بأن يقال فى السفور العصرى انه يضر بالمرأة الشرقية والغربية معاً ولا يمنعه من ضرره رقى المرأة الغربية ، وحسبك وحسبها أنها تدخل الحفلات الراقصة الخاصة بطبقتها ويخاصرها فيها غير زوجها وهى فى ثوب السهرة الذى لايستر من جسمها إلا قليلا وينم عما تحت القسم الذى يستره ، وحسبك مما تعرفه من رقى المدنية الغربية أنها تعتبر الغيرة التى جبل عليها الانسان من المعايب وتروضه على التخلص منها ، بل ان هذا التوسع المبتذل فى السفور الى النحور والصدور والظهور والأذرع والافخاذ ليس إلا صنع أوربا لاتعرفه المرأة الشرقية لاسيما المسلمة وإنما تعلمته من المرأة الغربية حتى ان مناظر (ستانلى باى) الفاحشة الممقوتة بعينها من هدايا الغرب ولم تكن الفواحش فى مصر وغيرها من قبل مبسوطة فى عراء البر والبحر وانما كانت منحصرة فى مكامنها لكن دعاة الشرق للغرب لايزالون يزكون المرأة الغربية ويمجدونها بين الانكار على فضائح السفور فى الشرق بالرغم من كون المرأة الشرقية أخذتها منها ، يزكونها لئلا يتضعضع صرح مبدأ التقليد الذى سعى أنصار السفور فى بنائه أى مسعاة

فاعلم هذا ولا تستمع الى أحاديث الفرق بين المرأة الشرقية والغربية فعند ذلك تكون ذا فكرة تامة فى مفعول السفور واختلاط الجنسين السيىء ، واحذر أن يجعلك المضللون نصف عدولهما ونصف

نصير . والذى أقصده من كتابتى فى هذا الموضوع هو التنبيه على مثل هذه النقط الدقيقة وإلا فما أكثر ما كتب ضد السفور حتى من أنصاره أيضاً حين جبهوا بمخازى المستهترات وأكثر الكاتبين أفصح منى قلما

نعود الى أقوال كاتب (ماقل ودل) ومنها : « ماذا نرى فى (ستانلى باى) هل هو وسط شرقى ؟ هل هو وسط غربى ؟ لاهذا ولا ذاك : انه خليط ، انه خليط شنيع مدهش متضارب كما لو كان قد امتزج هنا عدوان لدودان وكل عدو منهما مع ذلك عدو لنفسه كالشيطان. فيالها من بيئة لا تعرف لها عقيدة ، ولا مذهب ، ولا مبدأ ، ولا دين ! هنا صراع الطيش والتردد والاستهتار والحياء والصراحة والتذبذب والبكورة والفجور »

وهذا الكاتب الذى يبكى هنا ، فيما بكى ، على الدين كتب فى قول آخر له جواباً لخطاب وارد اليه يقول صاحبه :

« فى أثناء دراستى بالخارج ربطتنى واحدى العائلات هناك صداقة قوية انتهت بشروعى رسميا فى خطوبة آنسة من العائلة ، ولكنى علقت الزواج على موافقة أسرتى وتصادف رجوعى بالاجازة الى مصر وكنت فى زيارة صديق لى وجرى حديث الزواج فرويت له أمرى وأطلعته على صورة الخطيبة ، فنهانى عن ذلك وعرض على الزواج من احدى بنات بلده وفعلا تم كل شىء وأخذت وعداً رسمياً

بذلك وفسخت خطوبتى مع الآنسة الاجنبية

انتهت دراستى وحضرت نهائياً إلى بلدى ، وما كان أشد دهشتى عند ما وجدت صديقاً من أعز أصدقائى قد استولى على خطيبتى المصرية بعد أن قال عنى لعائلتها ما قال مالك فى الخمر !

فلو أن آنسات الطبقة المتوسطة التى نرغب فى الزواج منها يوجدن بكثرة وبكيفية يسهل معها التعارف بهن لما كانت هناك أزمة الزواج ولما تعدى الصديق على صديقه بمجرد العثور على آنسة متوسطة فى العلم والأدب والجمال والمال ، الأمر الذى نرغبه جميعاً فى كل زوجة

فهل للاستاذ أن يساعدنا على هدم هذا الحجاب الذى يفصل العائلات عن بعضها ، وأن يعمل على تهذيب بعض عوائدنا الاجتماعية ؟ »

ع . ج

فأجاب عنه الكاتب بما نصه :

هذا داء قديم عضال تعبنا فيه كثيراً وآلامه تتجدد أبداً . وقد طال الحديث فى هذا الشأن حتى مللناه . ولكن الأزمة الخطيرة التى يعانيها الشبان والفتيات فى مصر هى الكفيلة وحدها بأن تحل هذا الموقف المزرى حلا عاجلا حاسماً حكيما لمصلحة العائلة المصرية فليس يرضينا أن نجد ألوف الفتيات المصريات العاقلات الطاهرات يفنين فى زوايا البيوت و يذوى شبابهن و يقضين حياتهن فى هواجس

وخيالات وأمانى كاذبة ويقعن بالزواج الطائش أو الزواج الجاهل فى حيص بيص كأنهن ارتكبن ذنوباً يكفرن الآن عنها !

والقول بأن الاختلاط يؤدى الى الفوضى هو قول مبتذل لم يقم عليه أى دليل لأن الفساد بصورته الراهنة شنيع جداً . وقد ارتضى الشبان حياة العزوبة لانها لا تكلفهم كثيراً فى حين أنها تكلف الفتاة شبابها وهو أثمن ما تملكه الصاوى

انظر الى عدّه القول ضد الاختلاط قولا مبتذلا مع أنه الموافق لقول الاسلام، فانظره مع ماعاب على ممثلى (ستانلى باى) من أنهم لايعرفون عقيدة ولامذهباً ولامبدأ ولا دينا. فهل للكاتب مذهب يثبت عليه ،وأى دين يبيح الاختلاط والعشرة قبل الزواج ؟ وهى العشرة التى نقلنا بعض الشكايات المرة فيها عن الكاتب الآخر المخلص لدينه. وقد سمعنا عندما كنا فى بلاد اليونان شكايات بشأن تلك العشرة عن أفواه المسيحيين ولا يدرى الكاتب الذى يحكم بأن الفساد بصورته الراهنة شنيع جدا ، ان الفساد يصير أشنع عند توسع الاختلاط كما يحبه ، وربما يحضر (ستانلى باى) أفواج من الفتيان والفتيات تمضى أيام العشرة قبل الزواج ، وربما يحصل فيها التبادل بالأزواج المستقبلة . ومما يستغرب على الكاتب بعد أن رأى (ستانلى باى) وأنكره ، قوله بعدم قيام أى دليل على القول بأن الاختلاط يؤدى الى الفوضى ، مع أن (ستانلى باى)

ليس إلا معرض الاختلاط ، وهل لا يعرف السائل الغافل الذى يشكو من الحجاب و يطلب الاختلاط ويشكو مع ذلك من صديقه المستولى على خطيبته ، ان الاختلاط يعبّد السبيل الى استيلاء الصديق على زوجة صديقه فضلا عن خطيبته ؟

أما قول الكاتب « فلا يرضينا ان نجد الوف الفتيات المصرية يفنين فى زوايا البيوت و يذوى شبابهن » فمغالطة مرماها تدعيم ما يدعو اليه من حياة العشرة قبل الزواج بازمة الزواج الحاضرة ، فهو يدعو المصريين الى أن يسيموا بناتهم و يزجوا بهن فى الشوارع يبحثن عن أزواج ، و يلقين فتيانا يتبادلن معهم المحبة و يعاشرنهم برهة من الزمان قبل الزواج ، مع أن الكاتب و أمثاله يعرفون كما يعرفون أبناءهم ان أزمة الزواج أشدّ فى الامم التى تصرح لبناتها بهذه العشرة قبل الزواج مع من يشأن من الشبان ، لأن الشبان الذين ذاقوا حلاوة هذه العشرة وضروا بها يستغنون عن الزواج وأمامهم التفنن فى اختيار المعاشرة أو تزعزع هذه الحياة المختلطة بالفتيات ثقتهم بهن فتحذّرهم من الزواج و يكتفون عنه بشبهه و تبوء الفتيات بتمتيعهم من حبهن . نعم وانهن أيضا يتمتعن من حبهم الوقتى المستمر مدى العشرة فلا يكون شبابهن قد ذوى فى زوايا بيوتهن سدى ، فهل يُرضى هذا العوض الذى يكسبنه حضرةَ الكاتب الساعى فى مصلحتهن ؟

أما موقفهن بعد انتهاء سوق هذه الحياة الى الكساد ، سواء عدن إلى زوايا بيوتهن وهن أشباه أرامل أو بقين ملقيات فى الطرق ، فلا يهم كاتبنا الاجتماعى

فالحق أن العشرة قبل الزواج تعرقل الزواج و تزاحمه بشبهه عكس ما ادعاه أنصار السفور والاختلاط حتى ان هذه المعاشرات أشباه الزوجات يزاحمن بنات البيوت والخدور فيمانعن زواجهن أيضا كما يفسدن الزواج على أنفسهن ، وعليه ينبنى غلط الكاتب أو مغالطته فلو أوت الجميع إلى بيوتهن وخدورهن لما وجد الشباب من يتلاعب بها من الفتيات و يستكفون فينفق سوق الزواج كما كان نافقا قبل أن أعدت عادة العشرة قبل الزواج من الغرب إلى بعض بنات المسلمين . ولماذا لا يختار صاحب الخطاب من يتزوجها من بين السافرات المتأهبات للعشرة وهن موجودات فى مصر حتى شكا كاتب المقالة فى المجلة الدينية من انتشار هذه البدعة فى بلدانها ، فلماذا لا يكتفى صاحب الخطاب بهن فيبغى لحوق الصالحات الباقيات بالفاسدات ليصطفى زوجته من السافرات القريبات العهد بالاحتجاب !

واستمع الى خطاب آخر كتبه دكتور الى كاتب (ماقل ودل) :

آلمنى ما قرأت اليوم وأمس عن حادثتى الطبيبين ، ولكن ألا ترى أن الشر موجود فى كل مكان ولولاه لما شعرنا بالخير

وهل نسيت أن مثل هذه النفوس الشريرة موجود فى كل مهنة ، وان الواجب يقضى علينا أن نقف فى وجه كل من وضع فى يده شرف أسرة فامتهنه ، ولكن ما رأيك يا عزيزى فى حالتى المؤلمة وقد ذكرتها لك منذ ثلاث سنوات ؟

لقد عشت أكثر من عشرين عاما أحب فتاة لم أكلمها مرة واحدة فى حياتى ، وخطبتها رسمياً من أبيها ولكنه مات فضاع بموته كل وعد . طلبتها من أخيها فماطلنى خمس سنوات ومن أجلها وهى الفتاة التى لم أعرف عنها شيئاً غير أنى رأيتها واطمأننت الى مكانة أهلها الأدبية والاخلاقية ، من أجلها فقط تركت فرصاً كبيرة منذ عشرين عاما — سواء أكان فى مصر أو فى أوربا — تركت كل ذلك لانى أعتقد يوما أنها تعلم أنى أريدها زوجة فحافظت على كلمتى عشرين عاماً وأكثر وأخيرا اتفقت مع أخيها فى صيف العام الماضى فى اسكندرية بلدها أنى لن أسأله عن أى شىء يتعلق بما يخصها عن أبيها وانى أقوم من جهتى بشراء كل مايلزم للمنزل من أثاث ، وذلك كى لا أحمله دفع مليم واحد فى جهاز أخته . وفعلا اشتريت كل شىء حتى علب الملح والفلفل وصرفت فى ذلك أكثر من ٢٨٠ جنيهاً وكتبت له بذلك ليحضر و يشاهد بنفسه مااشتريت وليختار بنفسه لاخته سكناً فى أى جهة فى القاهرة . أتدرى ماذا فعل ؟ انه لم يردّ على خطابى وأخيرا كتبت أختى لوالدته فكان الرد بعدانتظار

عشرين عاماً : لا يمكن أن تتزوج قبل الكبيرات وهن أربع . والادعى للسخرية أنها قالت لها ان المنجمة أخبرتهن أن الزواج يكون تعيسا وأحسن شيء قولى لاخيك أن يبحث عن زوجة أخرى أما الجهاز الذى اشتراه فله أن يتصرف فيه كيف يريد

لقد انتظرت عشرين عاماً لأسمع بعد ذلك حكم المنجمة ، واشتريت كل شيء لانى أخذت وعداً من رجل ظننته شريفا . ستقول ولماذا لا تتصل بها شخصيا ؟ فاقول ان هذا من المستحيلات فهن يعشن فى القرن الثامن عشر وفى منزل اشبه بحصون القرون الوسطى انها لاتعرف السينما و تستغرب كيف ان السيدات يخرجن الآن سافرات . وهى من الاسكندرية وفيها ، ولم تر البلاج للآن . كنت اظن انى اريها العالم وافرجها على الدنيا وهى لما تزل خاما ولكنى أخطأت يا عزيزى لانى نسيت أن روحينا ربما لا تمتزجان فانا فى الحقيقة لاأعرفها ولكنى كيفت منها مدة عشرين عاما الزوجة الملائكية التى كنت أتخيلها An Ideal Wife وبذا أضعت حياتى وخيبت المنجمة آمالى ، المنجمة التى تحكمت فى مستقبل شاب عاش فى أوربا وهو من بيئة متعلمة أبعد ما يكون عن الخزعبلات

فما رأيك وأنا طبيب ، ألا ترى أن فى زمرتنا لايزال هناك

أناس كثيرون يراعون الشرف والصدق والوفاء ؟

الدكتور محمود ا ...

فأجابه :

لست أشك يا أخى لحظة فى أن فى الاطباء نماذج مثلى للخلق الكريم . بل ان طائفتهم فى مجموعها هى عندنا من أشرف وأكرم الطوائف العاملة

اما مسألتك فخطيرة بقدر ما هى حزينة . فقد رأيت طفلة وقدستها وجعلتها املك ومناك وسافرت وكبرت وتعلمت رجاء تزوجها وقد اسدت اليك هى ، دون ان تدرى ، جميلا اذ حفظتك من الشرور واخذت بيدك فى العلوم وجعلتك تفوز وتتفوق وتصبح رجلا عاملا نافعا فى بلادك . ورأيت كل الدنيا من غير ان تنساها . . فماذا تسمى ذلك ؟ انه وفاء فعلا ولكنه فى غير موضعه الآن . انت تنفى لشخص اما أنه مسلوب الارادة والفكر ، واما أنه قد نسيك تماما لانه لا يزعم لنفسه كل هذا الوفاء بعد نظرة طفولة بريئة ، فلماذا تحرق دمك وتسجن نفسك فى سجن ضيق مع شبح لا وجود له ؟! انى واثق من انك لو رأيتها اليوم لانكرتها . فقد تباعدما بين تربيتك وتربيتها ، وقد سافرت انت ورأيت العالم بينما هى لم تعرف من الاسكندرية قليلا ولا كثيرا . ان الفرص امامك سانحة ففى بنات

وطنك كثيرات يتمنين ان يفتحن لك ابواب السعادة ، فاغتنم ما بقى من العمر ، والله يقيض لتلك الفتاة الشهيدة من ينقذها

الصاوى

كان الواجب على الاستاذ الكاتب أن يعتبر و يفكر من حال صاحب هذا الخطاب الذى يعترف الكاتب بأنه من النماذج المثلى للخلق الكريم وهو لا يسأل الكاتب المساعدة على هدم الحجاب ، كان الواجب أن يعتبر و يفكر ماذا الذى حكم على شاب يتعلم فى مصر وفى أوربا محشر النساء الفاتنات السافرات و يمكث عشرين عاما مربوطاً بفتاة فى مصر لم يرها إلا مرة أو مرتين ولم يكلمها كلمة ولم يعرف عنها شيئا غير مكانة أهلها الادبية وغير أنها لا تعرف السينما و تستغرب كيف أن السيدات يخرجن الآن سافرات وهى من الاسكندرية وفيها ولم تر البلاج للآن . أليس هذا سحر الحجاب ؟ بلى وهو الذى خيلها له زوجة من الملائكة فلم تملأ عينيه السافراتُ الحسان وجعله يعدهن مبتذلات

قد أكثرتُ النقل عن الكتّاب لاسيما عن كاتب (ماقل ودل) بنصوصهم و إن طالت كما هو دأبى ؛ لئلا يكون قراء مقالاتى قد سمعونى فحسب بل سمعوا معى المعارضين الذين لم يُنتقد عليهم وهم ممن يعبأ الناس بكلامهم ، وقليلا ممن يؤيد أقوالهم دعواى من الموافقين و المحايدين ، كل ذلك فى مقالة واحدة

وقال كاتب (ماقل ودل) أيضا وهذا آخر ما أنقله عنه :

رأيت رجلا فاضلا ، ذا مركز ممتاز وخلق قويم ، يجر ولده الصغير بيده ، يسيران متثاقلين ، كأن كلا منهما عبء على صاحبه ، ودخل الاب قرب وقت الغداء دكان بقال ليحمل طعاما جاهزا من العلب المحفوظة أو الجبن والزيتون والحلوى ، لان بيته بغير امرأة .

لماذا ؟ هل ماتت أمُّ هذا الولد ؟ كلا ! ولكنها شر من مائتة . انها امرأة اجنبية آواها واعطاها اسمه بعد مالفظها أهل بلدها وكان يحرم نفسه لتسافر هى كل صيف الى اهلها فى أوربا ، فلم يثمر هذا فيها بل تركت له أولاده طالبة الطلاق ، وطلقت فعلا وتزوجت من صديق له

لو كانت مصرية لكان فى الامر نظر . كنا نقول ان أهلها زوجوها رغما عنها من رجل لايستحق الحب ، ولكنها اجنبية هجرت بلادها بمحض اختيارها وعرفت زوجها الشهور أو السنين قبلما تتزوجه

فهذه الطائشة تستبدل الرجال كما تشاء . أخذت شباب رجل واعطته أولادا ثم زهدته وتخلت عنه هو وأولاده لتأخذ شباب رجل آخر وتعطيه أيضا أولادا

ليس الذنب ذنبها وحدها وإنما أيضا ذنب الذى أغواها ،

AUC - LIBRARY

فهذا الرجل الذى يدخل بيت صديق له ولا يتحرج من النظر الى زوجته نظرة خائنة ، ثم لا يتحرج من اغوائها ، ثم لا يتحرج من مصاحبتها ، ثم لا يتحرج من تطليقها غير مكترث بالصديق والصداقة ، هازئا بحرمة الزوجية وحرمة الامومة والابوة .. هذا الرجل بماذا يحكم عليه ؟!

مروءة الرجال تقضى بانه اذا رأى المرء بادرة هذا الحب الشائن ولى الادبار ، ووضع بينه وبينه حدا ، لان فى هذا الحب خرابا ودمارا . اى مشهد اشد ألما للنفس من رجل يجر قدميه ويجر ولديه ساعة الغداء فى الطرقات ليشترى من بقال طعاما ، لانه لا يسيغ للطعام مذاقا ، لانه مطعون فى قلبه بخنجر من يد صديقه ومن يد زوجته ؟!

الصاوى

ينسى الكاتب حين قال : « ليس الذنب ذنبها وحدها وانما أيضاً ذنب الذى أغواها ، فهذا الرجل الذى يدخل بيت صديق ولا يتحرج من النظر الى زوجته نظرة خائنة .. » المذنبَ الثالث وهو الرجل الذى رثى له الكاتب أعنى الزوج الذى أدخل أصدقاءه على زوجته وهى قد تكون ملكا فى الجمال ولن تكون ملكا فى الطبيعة وكذلك الأصدقاء . ومع أنه ينسى المذنب الثالث لا يذكر منشأ الذنب والفساد وهو السفور والاختلاط وبذلك يكون الكاتب قد نسى المذنب الرابع أيضاً وهو كل من يدعو للسفور بلسانه أو

قلمه و يدافع عنه و الله لا يغفر لهذا المذنب و إن غفر للأولين . ومحط العجب كل العجب أن الكاتب لا يرى نظر الاصدقاء الداخلين على زوجة الرجل نظرة خائنة ، طبيعياً بمعنى أنه مقتضى الطبيعة المنتصرة على كل شيء . فهذه الحكاية المنشورة بقلم الكاتب الذى هو من ألد أعداء الحجاب حجة قاطعة عليهم وأنهم مهما أنكروا الحق الواضح و أصروا على دعواهم فهى لابد أن تفضحهم بلسان المشاهد مثلى (استانلى باى) ، ولا بد أنهم مخربون بيوتهم بأيديهم كما وقع لكاتب ماقل و دل فى هذه الحكاية .

ومن أباطيل القاصدين لمضرة السفور على المرأة الشرقية التى تقلد المرأة الغربية قولهم ان الرجل الغربى يرى منذ طفولته النساء عاريات الاعضاء الكثيرة و ينشأ بينهن فلا تهيجه رؤية تلك الاعضاء ، فى حين انها تهيج الرجل الشرقى الذى لم يألف رؤيتها وهو حديث العهد بها . وهذا قول باطل وان كان فى صورة الحق من حيث أنه متضمن لتحذير المرأة الشرقية من تقليد الغربية حتى انك تحسبه من كلام اعداء السفور ، لكنه من ناحية أخرى يبيحه لها فى المستقبل اذا تقادم عهد السفور فينا وحصلت الالفة به لعيون رجالنا ، ان مغزاه اباحة سفورها حالا بتخفيف وقعه فى النفوس وطمأنتها بالالفة المستقبلة ، وهو مع هذا مبنى على دعوى غير صحيحة من كون الرجال فى الغرب لا يهتمون برؤية ماتكشفه النساء هنالك

من أعضاء لها جاذبيتها ، فهل نساء الغرب اذن يعملن مايعملن من التأنق والتفنن فى الانكشاف عبثا لامطمح لهن به ولا مطمع عند الرجال ؟ وهل ليس هناك ايضا مطمح عند النساء للرجال الذين وضعوا اسس المدنية الغربية ومراسمها الاجتماعية حين ادخلوا فيها حفلات الرقص مع النساء ومخاصرتهن فى اعرى مايكون عليهن من لباس الزينة ؟ فهل هم عابثون بعقول أنفسهم وهل هن عابثات بعقول أنفسهن ، أم المدّعون منا بأن المرأة الكاسية العارية فى الغرب لاتثير رغبة الرجل ولا تنير عينيه ، عابثون بعقول الشرقيين المسلمين ! فالحق أن هذه جرأة غريبة مدهشة من دعاة السفور تدلك على مبلغهم فى الاقدام على هذر القول ، وأغرب منه اقتناع كثير من العقلاء بقولهم هذا مع كونه من الوهن بحيث لايقاوم شيئا قليلا من النظر والتفكير

نعم ان للغرب ألفة باسراف النساء فى السفور والاختلاط بالرجال مع الالفة بما ينطوى ذلك عليه من المفاسد ، فيظن الغافل أن السفور والاختلاط لايفعلان فى تلك البلاد فعلهما الطبيعى ، وقد لفتنا النظر فيما سبق الى أن النساء السافرات لايكتفين بالكشف عن أعضائهن بحد مايكشف عنه الرجال من أعضائهم فى حين أن غاية مايطلب لهن من الحقوق هى المساواة بالرجال ، فلا بد أن يكون مغزى لهذا الفرق العظيم بين الجنسين فى التلبس والتعرى ، ولا بد أن يكون مغزاهن فى الميل الى التعرى سواء كان في الشرق أو الغرب هو

تغذية عيون الناظرين . ولو صفحنا عن وجود هـذا القصد فيهن فالتغذى حاصل لامحالة فالشرع الاسلامى الذى يقول (العينان تزنيان واليدان تزنيان) وطبع المسلم الغيور على عرضه لايقبلان أن يستمتع من المرأة بأى صورة من صور الاستمتاع من لاحقّ له فى ذلك

ومن العبث الواضح بالعقول ماقرأته بالجرائد نقلا عن مقال مكتوب فى مجلة غربية (ريدرز ديجست) تعد فيه الصفات التى يجب أن يتحلى بهـا الشاب العصرى : « كذلك يجب أن يتعلم الشاب الرقص لانه بجانب كونه رياضة بدنية فهو فن ينمى فيه روح الفضيلة ويعوده النظر الى الجنس اللطيف بعين مجردة من الخسة والشهوات » يفهم من هذا أن المدنية الغربية تواضعت مع المتمسكين بها على أن تباع الرذيلة فى سوقها باسم الفضيلة وسبب نفاق هذا البيع أنه يتضمن لذة مادية للمتبايعين فيهتك فى سبيلها الحياء ويسمى الاعتياد على قضاء الشهوة فضيلة وتجرداً عن الشهوة والخسة ويُغالى فى الجرأة فتعاب على الاسـلام فضيلته المانعة من سفور النساء واختلاطهن بالرجال الأجانب حتى يحتاج الاسلام من هذه الناحية الى دفاع يمتد على طول اعتداآت العابثين ، فى حين أن الحضارة الغربية القاضية على الفضيلة والمبنية على أساس قضاء الشهوة سالمة من التعييب والاتهام ، وهذه المعاكسة بالحقائق تروج بفضل تعصب الغربيين لما ينسب اليهم من التقاليد وضلال أبناء المسلمين صراطهم

المستقيم ولو لم يكن من وراء هذه الحياة المختلطة مايؤيدها من قوة الغرب وشوكته لعدت سواد وجه لأى قوم اختارها ولهذا كانت مسألة النساء أعظم حاجز بين الاسلام والمدنية الغربية فالمسلم لايقبل الحياة العارية المختلطة لنساء المسلمين مادام يصح له اسلامه والغربى لايرى كحجاب النساء أكبر مانع فى اختيار الاسلام ديناً له وربما لايشك فى كونه أحق الأديان بالقبول ، لأنه يصعب عليه فراق ماتعوّده من الحياة المختلطة بالنساء وفيها حظ للنفس عظيم وفضلا عن الغربى الغير المسلم فصاحبك المتفرنج لايصافيك المودة والألفة حين يراك لاتبيحه مخالطة نساء بيتك ومجالستهن فى حضورك وغيابك

نعود الى قول كاتب المجلة فالرجال الذين يحضرون حفلات الرقص المزدهرة بمختلف الأنوار ويخاصرون فيها النساء العاريات عن الثياب إلاقليلا كالمعدوم ، كأنهم على ادعاء كاتب المجلة يخاصرون قطعاً من الخشب من غير أن يشتهوا شيئاً من أولئك المشتهيات ، وكان سهلا على الذين آمنوا بمثل هـذه الترهات أن يضعوا الحجاب على عقولهم من أن يضعوا الحجاب على النساء ، فتعساً لهم

وقد ذكّرنى قول تلك المجلة ما كنت قرأته فى بعض جرائد تركيا قبل بضع سنين ، والجرائد يومئذ تتسابق فى المماشاة لمرضاة حكومتها اللادينية الراغبة فى انكشاف النساء واختلاطهن بالرجال « ان الحياة المختلطة الحرة لاينظر فيها أحد لامرأة أحد نظرة سوء

والمحاذير المتصورة فيها انما تجرى فى الذين لم يتأدبوا بآداب المدنية ولم يرقّ ولم يرقَ احساسهم . نعم ان الرجل عند أول عهده دخولا فى تلك الحياة ورؤيته النساء الجميلات المتجرّدات حوله يندهش ويستحيي ثم تثور نفسه الامارة بالسوء ، لكن متعود هذه الحياة الناضج الشعور والاحساس يدخل مثلا حمامات البحر ويرى على الشاطىء أو فى ملتقى البحر به حيث لايجاوز الماء قدر شبر ، نساءً عاريات من أنفس النفائس ولا يخطر بباله اغواء الشيطان أو إغراء النفس الأمارة . ثم ان هذا الرجل يرقص مثلا فى حفلة ساهرة مع النساء الأشباه العاريات عينه الى عينها وجسمه الى جسمها من دون أن تتحرك منه شعرة وهو بالعكس يمارس عرقه الضعيف حيال المرأة وينضج ويربى نفسه الامارة ففى هذه الحياة المدنية امن على العفة وارتياح للنفس معا فقد حكى لى واحد من الراسخين فى هذه الحياة أنه رأى امرأته يوماً عند طاهى منزله (طوسون) وهى سافر فنهاها وعهدى به أنه يُدخل زوجته كل ليلة على أحبابه فيراقصونها ويختلون معها فمن أجل ذلك تعجبتُ من قوله وسألت : ألست أنت تدخلها سافراً على كل أحد ؟ فأجاب انهم لايقاسون بالطاهى (طوسون) لأنهم يدرون أن يحترموا المرأة وهو يعتبرها مخلوقا يؤكل مثل الكمثرى »

فانظر قول هذا الكاتب وتعلم إن لم تكن ذا علم بأن مخالطى

النساء ومراقصيهن بين أيديهم يقصدون بذلك الى تربية نفوسهم الجامحة وتعويدها ضبط شهواتها ، واجمع هذا القول الى قول كاتب المجلة الغربية ثم اقض منهما العجب

ولعلك يقع فى مخيلتك أن المتعود لمجالسة النساء وملامستهن لا يكون كحديث العهد بتلك الأحوال ، وأن لحالة التعود والتكرار حكما ليس فى حالة الابتداء ، وهذان الكاتبان اعتمدا فى تغرير القارىء على وجود الفرق بين الحالتين ، ونحن لا نجتاز هذه النقطة لكونها من أبدع دعائم السفور التى يسند دعاته مغالطاتهم اليها وهى على شدة بطلانها أشبه شىء بالحق ، فنحن لانجتازها من غير تأدية حقها ، وفى مثل ذلك ميزة مقالنا عن موضوع السفور فنقول : يجب على المسلم اليقظ أن يسأل الدعاة المغالطين الذين يريدون أن ينزلوا الناس منزلة الحمقى : اذا كان واضعو الحياة الحديثة المختلطة وضعوها لازالة تأثير أحد الجنسين على الآخر واخماد الشهوة المتقابلة بينهما فماذا الغرض من هذا الوضع المضاد للطبيعة وما هى الفائدة المجنية منه مع أن مصلحة الناس فى ايجاد اللذات لهم دون اعدامها وما هى الفائدة فى تنزيل قيمة أحد الجنسين عند الآخر بازالة ما بينهما من حرارة الجاذبية وابدالها بالبرودة والجمود

ثم نقول : نعم إن متعود الشىء ليس كالمبتدىء الحديث العهد به ، إلا أن هنا نقطة فى غاية الأهمية يلزم التنبه لها وهى أن مناسبة

الرجل بالمرأة المستجمعة لاسباب الجاذبية ان اقتصرت على مجالستها والتماسّ الحاصل بين أعضائهما عند التفافهما متراقصين فتكرر هذه الحالة مهما كثر فلا يسكّن التمايلات الجنسية ولا يُطمئنها وبالعكس يثيرها ويشددها ، وأنتم مهما أكثرتم من المناسبة بالنساء على أن تذهبوا بها إلى حد فتقفوها عنده ، مهما أكثرتم من أعدادها وأنواعها فلا تكونون قد أرويتم بها أنفسكم وانما ازددتم ظمأ على ظمأ فيكون مفعول التعود هنا بالعكس ، فان كان في الدنيا شيء لا يُقنع بقدر ما نيل منه ولا يستغنى به عن الوصول الى غايته فذلك الشيء هو ملاقاة المرأة ومماستها ، وما أصدق قول الشاعر :

وكنتَ إذا أرسلت طرفك رائدا
لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر (١)

وعليه فدعوى التأمين على أن اغواء الشيطان واغراء النفس

(١) فلو لم يكن عصر السفور والاختلاط قضى على العشق القديم الذي كان قد يؤدي الى موت العاشق ارجنونه لقلنا ان هذه المناسبة بالمرأة الجميلة الواقفة عند مايكون الرجل معها فى اندية الرقص والسهر ، توقعه فى مخالب العشق وتميته او تجننه . لكن عصر السفور والاختلاط عصر ابتذال المرأة يغنى الجنسين عن العشق ويحقق قول الشاعر القديم الذى هو مقول لهذا العصر اكثر من كونه مقولا لعصره :

ماحب عزة الا حب غانية فى وصل غانية من وصلها خلف

الامارة فى ملاقاة الرجل بالمرأة يزول تأثيرهما بتكرار الملاقاة وتعويدها النفس فى حياة العشرة الجديدة المدنية، باطلة غير مسموعة

نعم انما يسلم بحصول نوع من شبع العين وصمم الاحساس فى التمايلات الجنسية برؤية الكثيرات من النساء والتلاعب بهن بشرط واحد هو أن تنضم الى هذه المقدمات نتائجها الطبيعية فينتهى عند ذلك غلواء رجال الحياة الجديدة و يسكن جماح أنفسهم لكن تأمين العفة لحياة العشرة الجديدة بهذه الصورة يكون كوضع عدم الأمن موضع التأمين وقصاراه أن تكون عيون رجال الحياة العصرية شبعى تجاه النساء بفضل اللاتى لقوها منهن وقضوا أوطارهم منها ، فلو أمكن أن يقال شبعى تجاه اللاتى يلقونهن بفضل اللواتى لم يلقوهن لاعتبرناه تأمينا حقيقيا . فهذا تحليل مغالطة أنصار السفور والحياة المختلطة وقول كاتب الجريدة التركية « ان فى هذه الحياة أمنا على العفة وارتياحا للنفس » يكفى بعضه فى نقض بعضه .

اما ستر الرجل المدنى المحكى زوجته عن الطاهى طوسون فسببه عدم اعتباره أهلا لان يخالط نساء من هم فى طبقته والحياة المدنية المختلطة تتطلب الكفاءة فى مشتركيها فيلزم أن يكونوا من الذين يدرون آداب الاستفادة من جمال المرأة و يقدرون مقابل ذلك على الافادة وكلا الشرطين لا يوجد فى الطاهى طوسون

و انى لا أقبل الاتهام بسوء الظن فى تحليل هذه المسائل فتلك

الحياة منطوية لامحالة على مفاسد لاتتفق مع العفة الا أن التجاهل بالمفاسد يقوم فى تلك الحياة مقام العفة ويسيغه كون تلك المفاسد معتاضة بأمثالها (١)

ولو فرضنا أن هذه الازياء العصرية للنسوان البليغة فى التزين المكشوف الحرية بغرف الزفاف والاختلاط الخليع فى تلك الازياء بالرجال الاجانب والتراقص معهم ملتفات بهم ساقا لساق ووجها لوجه وصدرا لصدر ، لو فرضنا فرض المحال أن هذه المقدمات لاتجرّ الجنسين الى ماوراءها من المفاسد فحسبها هى نفسها مفسدة اذ لايسوّغ الشرع الاسلامى ولا الطباع السليمة أن يقضى الرجال الاجانب بعض شهواتهم من أجسام زوجتك وبناتك واخواتك ولا أن تقضى أنت ذلك من أجسام زوجاتهم وبناتهم وأخواتهم كما لايسوغان أن يقضوا هم ولاأنت منها تمامها ، وشريعتنا الغيور تحكم بلمسة واحدة بين الرجل والمرأة الاجنبية من تلك اللمسات الخليعة المنطوية على الشهوة بالمصاهرة بينهما فتحرم أصول أحدهما وفروعه على الآخر

---

(١) وكثير من الكتاب يعيبون على شعراء الشرق السالفين اسرافهم في الخلاعة وهجنة القول عند التشبيب . واني اقول كانت الفسوق عندهم من المخيلات الصعبة الوصول لكن تقليد الغرب في سفور النساء واختلاطهن بالرجال نقل الفسق من الالسن الى الاعمال فأصبحت مواصلة النساء من الامور العادية التى لاتذكر

ولنسمع هنا لقول كاتب مصرى يتعلم فى جامعة غربية :

« إن نظام الاختلاط بين الشاب والفتاة فى سن مبكرة معدوم فى مصر لايكاد يكون له أثر إلا فى بعض أسرنا الارستقراطية من الذين عاشوا ردحا من الزمن فى أوروبا ، أما فى مصر فان الشاب والفتاة يبقيان من عهد طفولتهما منفصلين تمام الانفصال فيحرم عليهما الحديث حتى بين أولاد الاسرة الواحدة وبناتها ، ويحللون تحريمهم هذا بان ذلك الحاجز الذى أقاموه بينهما يمنع ماقد يحدث من اهواء الشباب . ولو فكروا ملياً لوجدوا أنهم مخطئون خطأ كبيراً وأن نتيجة ذلك على عكس ما كانوا يظنون ، ففى هذه الحالة يعمل كل منهما على الاتصال بصاحبه لاعن طريق الصداقة البريئة وإنما بغية الاتصال الجنسى الذى منع اختلاطهما من أجله فكأنهما يحطمان ذلك الحاجز انتقاما من ذويهما ، وزد على ذلك ما يتكبده الاثنان من ضروب التفكير العميق الذى يفكرانه فى سبيل الوصول الى بعضهما ، وجل ذلك بطرق خفية حتى لايدرى أحد مايدور وراء الستار ، وهذا التفكير العميق يضر كلا منهما فتجد الفتى واجما فى أثناء القاء الدرس فى المدرسة وربما يشرح المدرس نظرية هندسية بينما هو يفكر فى موعد لقائها وكذلك الحال مع البنت ، وكثيرا ما كان لهذا التفكير أثره السيء فى مجموعها العصبى وما مرض الهستريا الذى يصيب كثيرا من فتياتنا فى سن الادراك

الا نتيجة هذا . فلو أن هذه الحواجز التى يقيمها الآباء أزيلت وغرس فى نفس كل من الفتى والفتاة الاخلاق القويمة ونشآ من حداثة سنهما مختلطين لضعفت تلك العاطفة الجامحة الى حين وقويت على أنقاضها الصحبة الجميلة التى لاتتعدى النزعة البريئة والاختلاط الذى يوقظ فى النفس حب الجمال لانه جمال فقط لا للعبث والنزول به الى النوع التجارى الرخيص . واننا لنقرأ كثيرا فى صحفنا المحلية عن بنات بعض الاسر وهربهن مع الخدم ارضاء لنداء تلك العاطفة التى زادتها هياجا القوانين الشديدة التى فرضتها نُظم الاسرة على أولئك الفتيات العذارى .

« وانه ليعجبنى كثيرا نظام الاختلاط فى الاسرة الانكليزية فتجد الطفل يصاحب طفلة الجيران ويلعبان معا فى حديقة منزل أحدهما ويبقيان على ذلك حتى سن الشباب فيتدرج من اللعب معها الى الزمالة فى الدراسة ثم دعوة كل منهما لصاحبه لتناول الشاى وكم يكون فرح الام أو الاب اذا ما أخبرهما ولدهما أو فتاتهما أنه سيأخذ أو ستأخذ شابها اليوم مع صديقته أو صديقها . يرحبان بصديقة ولدهما ويظهران لها من ضروب العطف والحنان ماتسر له وترفع صديقها فى عينها وتحترمه الاحترام كله . تزامله فى دراسته العالية فى الجامعة فتكون نعم الصحبة ، يعيد معها محاضراته فيتفهمان معاً ويكونان عضدا لبعضهما فيستفيد منها الدقة فى العمل وهو دأب

الجنس اللطيف وتستفيد منه بما جبل عليه الرجل من الصبر على المكاره ومواجهة الصعاب بثغر باسم فيستفيد كل من صاحبه و يخرجان آخر العام يشد كل على يد زميلته و يهنئها بالنجاح .

« والسبب فى تقدم الطلبة الانجليز مع صعوبة الجامعات والارهاق فى العمل بسيط لو عرفنا ظروفه واستوعبنا قليلا منه لوجدنا أنه لايفوق ذكاء المصرى فى شىء ولم يخلق من مادة غير التى خلق منها المصرى وانما حصر تفكيره فى عمله وعدم تشعبه فى مقابلة فتاته أو كيفية محادثتها . لم يفكر فى ذلك وهى بجانبه فى المحاضرة وفى المعمل تبسم له ابتسامة بريئة كلما تقابلت نظراتهما ثم يعود كل الى اتمام عمله بهمة و نشاط »

محمد حامد شاكر

القسم الفسيولوجى ـ جامعة ليفربول

يحدّث الكاتب الطالب قومه و يرشدهم الى ما رآه فى الغرب من منهج التربية الاجتماعية وحبذه ، من دون توجيه أى نظرة أو أهمية الى دين قومه وآداب آبائه وأجداده والى أن قراء مقاله هذا المنشور فى الاهرام بعنوان (أثر البيئة فى الاجتماع) لم يعدموا ـ وعلى الأقل فيهم من لم يعدموا ـ بعدُ ميزان عقولهم

فهل يضمن لهم الكاتب أولا أن نظام الاختلاط بين الشاب والفتاة الذى نوه بوجوده خاصة فى بعض الأسر المصرية الارستقراطية من الذين عاشوا ردحاً من الزمن فى أوربا ، كان نافعا لهم وحميد الأثر ؟

ثم ان الكاتب الطالب جد عارف بأن ما يحصل فى اختلاط الجنسين و يسميه الصداقة البريئة أو النزعة البريئة أو الابتسامة البريئة - وقد يضاف اليها طبعاً التخاصر والاعتناق البريئان لأن الزميل و الزميلة الناشئين على آداب الحضارة الغربية لابد أن يتراقصا فى بعض الأحيان - كل هذه البريئات مع ما توقظ فى النفس من حب الجمال لأنه جمال فقط كما ذكره الكاتب ، أسماء وأوصاف كاذبة تذكر لمخادعة السذج ومكافحة الحياء الانسانى تحت ستار الألفاظ البريئة المستعملة فى غير مواضعها مثل مايفعل بعض اللصوص فعله تحت اللثام وهذا كما يسمى دعاة السفور أنفسهم أنصار المرأة ودعاة الحجاب خصومها والله يعلم من هم الأنصار أو الأعداء كما يعلم المفسد من المصلح

وانظر الى قول الكاتب عن نتيجة وضع الحجاب بين الشاب والشابة « ففى هذه الحالة يعمل كل منهما على الاتصال بصاحبه لاعن طريق الصداقة البريئة وإنما بغية الاتصال الجنسى الذى منع اختلاطهما من أجله » فكأن الجنسية الخاصة بكل منهما لاتبقى عند إباحة الاختلاط بينهما فينقلب كلاهما ذكراً أو كلاهما أنثى

ثم لماذا يكون اتصاله بصاحبته بريئا عند اباحة الاختلاط وغير برئ عند منع الاختلاط فان اتى الفساد من المنع كما سيأتى بيانه لامن طبيعة المختلطين فلا شك فى ان مباح الاختلاط ايضا

ممنوع من الاتصال الغير البرئ فيلزم أن يكون فاعلا لما منع « فكانهما يحطمان ذلك الحاجز انتقاما من ذويه » وهذا كما يقال ان الانسان حريص على فعل المنوع فكانهما لو لم يُمنعا عن اتصال أحدهما بالآخر ولم يُقَم بينهما حاجز لما تهالكا على هذا الاتصال الممنوع وعليه فقد يكون فى دعاوى انصار السفور ان الحجاب ادعى الى الفتنة وانه يشتمل على مفاسد يضيق عنها نطاق السفور واباحة الاختلاط وربما تسمع مثل هذه الكلمات منهم وكله سفسطة وتضليل ، اذ لو كان المنع عند أى فعل يؤدى الى وقوع ذلك الفعل اكثر مما اذا لم يمنع وترك مباحا لانعكس موضوع الامر والنهي واصبح الحاجز وسيلة والوسيلة حاجزاً ولزم الغاء قوانين العقاب الموجودة فى الدنيا لكون مفعولها فى المجرمين الحث والتحريض على الاجرام انتقاما من واضعى القوانين ، ولو قال الكاتب اغتناماً للفرصة التى لاتوانى كل حين مع الحجاب الحاجز لكان أشبه بالحقيقة . أما اذا لم يكن بينهما حجاب ولكل منهما الاختلاط والاتصال بالآخر متى شاءا فالوقت متسع أمامهما ولا حاجة الى التعجل فأوقاتهما كلها فرص

وانى تذكرت هنا حكاية لا أمضى من دون أن أوردها : كان رجل وامرأة أجنبية عنه يترافقان فى سفر فقال الرجل للمرأة أتدرين ماذا سيكون اذا وصلنا الى ماوراء هذا الجبل ؟ فقالت :

ماذا سيكون ؟ فقال : سأعتدى عليك هناك فتأبين ولا تستسلمين لطلبي وتصيحين وتستغيثين من غير مغيث ويقع بيننا عراك عنيف لا يتكهن أحد بمنتهاه . فاستمعت له المرأة وقالت : لن يقع شيء مما تخافه علىّ ، لانى سأوافقك على ماطلبت منى وينتهى الأمر بسلام

نعود الى قول الكاتب : « وزد على ذلك مايتكبده الانسان من ضروب التفكير الذى يفكر انه فى سبيل الوصول الى بعضهما » وفى هذا مضيعة لهما من الأوقات والمساعى مع إمكان تسهيل الأمر لأبويهما « وجعل ذلك بطرق خفيـة حتى لايدرى أحد ما يدور وراء الستار » مع أن المجاهرة أولى من العمل فى الخفاء وأدلُّ على الشجاعة وأجدر بالحرية « وهذا التفكير العميق يضر بكل منهما فتجد الفتى واجماً فى أثناء القاء الدرس فى المدرسة » فلو كانت فتاته فى متناول يده متى شاء أو بجنبه أو مرأى عينيه لكان هشا بشاً نشيطاً . ولو كان الكاتب ممن يصلى فى المساجد لقال : ولو صلى بجنب الفتيات الحسان فى صف واحد أو صلى وهن أمامه فى الصف المتقدم يحكين فى الركوع أهلة وفي الاعتدال قضبان البان ، لوجد فى صلاته لذة لايجدها فى المساجد الغاصة بالرجال وأخذ الشبان النافرون من الصلاة يلازمون المساجد « وربما يشرح المدرس نظرية هندسية بينما هو يفكر فى موعد لقائها » واذا رفع الحاجز وأبيح الاختلاط فذهن الطالب يظل حاضراً معه فى كل مكان كما

تكون مطلوبته حاضرة فيه « وكذا الحال مع البنت وكثيراً ما كان لهذا التفكير أثره فى المجموع العصبى وما مرض الهستريا الذى يصيب كثيراً من فتياتنا فى سن الادراك إلا نتيجة هذا » مسكينات فتياتنا يمرضن من فاقتهن الى فتيان يؤانسونهن ويرافقونهن فى المدارس والمنازل والشوارع والمتنزهات فيستنشقن معهم هواء الحرية والمحبة « وإنا لنقرأ كثيراً فى صحفنا المحلية عن بنات بعض الأسر وهروبهن مع الخدم إرضاء لنداء تلك العاطفة التى زادتها هياجا القوانين الشديدة التى فرضتها نظم الأسرة على أولئك الفتيات العذارى »

لو كان فى عقل الكاتب أدنى صلة بالمنطق لتنبه لكون هروب بعض بنات الأسر المصرية مع الخدم نتيجة اختلاط الذكر بالانثى الذى نحذّره نحن وهو يدعو له فلا يعد مثل هذه الحادثات ذنباً على قوانين الأسر المانعة من اختلاط الجنسين فهل لا يعتبر الخادم من الذكور أو من الأجانب أو لا يعتبر البنت من الأناث وهى كما يحب الكاتب تنشأ برفقة الخادم وتراه كل يوم فاذا كان الاختلاط بالخادم يكفى فى إغوائها فما ظنك باختلاطها بفتى من طبقتها ؟ فهذه الحوادث تنعى على دعواه فى حين أنه يسردها لتدعيمها والواجب للآباء المصريين وغير المصريين أن يختبروا مبلغ أبنائهم من الذكاء والعقل السليم قبل مبعثهم الى مدارس الغرب وإلا فلا مانع

من أن يكتبوا يوماً الى جرائد مصر يدعون آباءهم واخوانهم فى علانية وصراحة الى دين الغربيين الذى وجدوه حقاً مستندين الى عقولهم التى أريناك بعض نماذج من تفكيرها المعوج

وانى أقول فى مختتم كلامى عن مقال طالب الجامعة ليحلم المصريون باستقلال بلادهم فقد استعمر الغرب قلوب ابنائهم المتعلمين واستعمار القلوب أقوى أنواع الاستعمار وأشدها خطراً وأفتكها بكيان الأمم

ومن أقوال دعاة السفور التى يموهون بها باطلهم ويظهرونه بمظهر الحق « إن ضمان العفة فى النساء الذى هو جدير بأن يعول عليه هو تعليم المرأة وترقيتها وانماء القوة العقلية فيها وتربيتها وجعلها ـ أى القوة العقلية ـ حاكمة على النفس ، فبالعلم والرقى تقدر الفتاة قدر عفتها ، وهذا السياج المتكون من العلم والتهذيب يقصر بالنسبة اليه ويضعف بكثير أن تكون محتجبة وتعيش فى عالم مفترق عن عالم الرجال »

ونحن لا نعارض لأن تكوّن فى الفتاة سجية تحكم بها على نفسها وتستند الى التعليم والتربية وانما نعارض أن تعد مستغنية بها عن الحجاب الذى وضعه عليها الاسلام لانا كما عرفنا أن سجية الحكم على النفس لاتوجد بكثرة فى الذين أخذوا نصيبهم من التعليم والتربية ، لانأمن أيضاً على اصابتنا الواقع عند ما فرضنا أناساً من

معارفنا حاكمين على أنفسهم تجاه المغناطيس الجذاب الكامن فى جمال المرأة ، أو فرضنا فتياتنا ونساءنا حاكمات على أنفسهن حيال اغواء شياطين الانس لا سيما العصريين المجهزين بالمكايد الراقية ؛ فنقصان الحكم على النفس من أحد الجنسين كاف فى وقوع الفتنة عند اختلاطهما ، فنحن نخاف كلا منهما على الآخر ولا نرد الشبهات التى تساورنا وان ردها غيرنا لان الحكم على النفس شىء يسهل قوله ويصعب فعله ، وماذا يسعنا أن نقول عنا بعد ماقال سيدنا يوسف عليه السلام ﴿ وما أبرّىء نفسى إن النفس لأمّارة بالسوء ﴾

الحاصل أن الحكم على النفس شىء لا يحدد وجوده وعدمه ومبلغ كفايته ومقاومته ويخفى أمره فى كل أحد بحيث لا يطلع عليه غيره ، بل كثيراً ما يخطىء الانسان فى تخمينه لنفسه فى مثل تلك المواقف الدقيقة الخطرة ، ولله در الشريف الرضى القائل :

لا العفُّ عفٌّ حين تملك لبَّه
تلك اللحاظ ولا الامين أمينُ

لا سيما وان قدر العفة فى نظر من لا يتعلم وجوبها من الدين بل من المحاكمة العقلية ، لا يجاوز وراء أن يعرفه الناس عفيفاً وأن يكون مركزه هذا محفوظا عندهم وهو غير العفة الحقيقية فمهما علم قدر العفة ومهما تم عقل الانسان وسلمت محاكمته العقلية فربما لا يكفيه ذلك فى مثل هذه الاحوال التى هى مزلقة طبيعية للاقدام أى مزلقة

ومن جرّاء ذلك لزم أن لا تسمح للنفس أولى فرصة وأن تسد طرقها، فحجاب المرأة معناه حجب طرق الفرصة على النفوس بأخصر وجه. وقد استخفّ بعض كتاب الترك — من أنصار السفور — بقوة تلك البراقع الحريرية الرقيقة الملقاة على وجوه النساء ومع ذلك اعترف بأن تلك البراقع تجعل المرأة كأنها تعيش فى عالم آخر، فقلت له ان هذا اعتراف منك بقوتها فتلك الحجب الرقيقة سجف الحياء الملقاة بين الجنسين المانعة من اختلاط أحدهما بالآخر تقيّد اتصال الرجل حتى بزوجته فى خارج بيته وتحول دون ما يراه الانسان فى بلاد المدنية الغربية وقد رأيته كثيرا فى شوارع باريس بعينى من أن الرجل يمشى آخذا بيد امرأة يتحدّث معها ويقبّلها فى غضونه على مرأى المارين (ومسمعهم) ولا يلزم أن تكون تلك المرأة زوجته. فهذه حالة تلك البلاد التى يدعى أنصار السفور منا عدم كونه فيها موجباً للفساد ويصدقهم فى ادعائهم كثير من الغافلين فلعلها قبلات بريئة!! ويمكن أن يستدل على براءتها بايقاعها جهارا نهارا!!

ثم إن السفور بمعناه العصرى الذى أوضحناه يعرف كل الناس أن الاسلام يأباه ولا يقبله. ثم بالرغم من ذلك ترى كثيرا من الكتاب المتسمّين بأسماء المسلمين يدعون له ويشجعون المرأة المسلمة عليه ويُنحون على من يخالفونهم باللوائم ويعتبرونهم رجعيين لا يعبأ

بقولهم ومخالفتهم وهم على الاقل يستمرّون فى نقاش المخالفين ، مثلا ترى كاتب (ما قل ودل) فى الاهرام واسمه أحمد وقد صرح عند تمجيده لعيد الميلاد بأنه مسلم مؤمن بمحمد ﷺ و بسيدنا عيسى الذى كلم فى المهد صبيا وقال انى عبد الله آتانىَ الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت . تراه الفينة بعد الفينة يصوّب سهام الاحتقار الى من لايرضون بسفور المرأة المسلمة من العلماء والكتاب ، فهل لا يعرف أن الرجعة التى يعيبها على مخالفيه رجعةٌ الى الاسلام وأنه بهذه السهام البذيئة يكون يرمى دين الاسلام وكتابه الذى ينص على أن النساء يضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن . فلو سألته ماذا يقول فى نص القرآن واعتنائه بهذا التفصيل الجليل فهو لا يحير جوابا ، فكأنه يتعجب منك ويقول بلسان حاله ان من يعيش فى العصر العشرين ويستند فى اقتناعاته الاجتماعية الى القرآن فجوابه جواب الأحمق ولا يرى من حقك أن تتعجب منه وهو مسلم مثقف يحوم فى كتاباته حول مسألة النساء كيف يجهل أطول آية فى كتاب الاسلام عن النساء فاذا قرأتها عليه وعلمته

اياها ولّى مدبراً كأن لم يسمعها وجعل جزاء تعلمه منك أن لا يراك أهلا للخطاب فكيف انه متعلم وكيف انه مسلم يؤمن بما شاء من آيات القرآن ولا يؤمن بما شاء ولا يراه يجدر بأن يكون دليلالمستدل

وهناك بعد آية الحجاب أحاديث نبوية كثيرة تأمر بستر النساء عن الرجال الاجانب وتنهى عن الاختلاط بهم لكن الكاتب وأضرابه لا يعبأون بالآيات والاحاديث المتعارضة بتقاليد المدنية الغربية مهما فضحت مغبتها كأنهم رسل تلك المدنية فى الشرق بعد رسل الله تنسخ أنباؤهم عنها أنباءهم عنه ، وبالرغم من معارضة هؤلاء الرسل المحدثين لرسل الله ومحاربتهم من وراء الستار فانهم مؤمنون بالله ورسله ومسلمون ، ان كانت دعوى الايمان والاسلام تتفق مع السعى فى هدم معالمه [1] والناس فى هذا الزمان العجيب لا يهتمون بتشخيص أعداء الاسلام المختفين تحت أسماء المسلمين النائلين منه فى بلاده ما لم ينل كتّاب من غير الامة المنتسبة اليه لسهولة اجتراء الاولين عليه تحت جُنّة الاسماء وسهولة استماع الناس منهم . وفى مصر كتاب مسلمون بالاسماء والادعاء خرجوا على دين قومهم فقامت الامة ضدهم ثم ما لبثت ان اعتبرتهم تائبين وأعادتهم الى حظيرتها وسلمت اليهم مقادتها

---

(١) وللكاتب التركي (جلال نوري) رأي كتبه فى بعض مؤلفاته وهو ان من دخل فى دين الاسلام لايخرج منه لان فيه ختانا

فلو لم يكن لهم شفعاء من أسمائهم لما سهل عليهم الظهور بمظهر التائب ولما قبل الناس توبتهم ، ولو كان الناس مشفقين على دينهم اشفاقهم على أموالهم لأخذوا حذرهم من أن يعيدوهم الى مأمنهم

ولا يُعترض علىَّ بأن المسلم قد يخطىء ويقترف ذنبا بل ذنوبا، ومذهب أهل السنة ان الكبائر لا تخرج الانسان عن الدين ؛ لا يعترض علىَّ بمثل هذا لان معصية الله ورسوله قولا لا تقاس بمعصيتهما فعلا ولا يمكن أن يكون المسلم معارضا لله ورسوله فى أقواله وان أمكنه أن لا تكون أفعاله طبق ما أمر الله ورسوله به ، نذكر له مثالا من موضوعنا كأن تسفر المرأة المسلمة فعلا السفور العصرى وتشترك فى بعض الحفلات الساهرة بثوبها الغير الكاسى بل تعيش طول عمرها فى السفور الحديث ماشية على ما يقتضيه من فنون الانكشاف والاختلاط ومماشية فى كل ذلك هواها النفسانى فيمكن أن تبقى هذه المرأة على اسلامها وان كان استمرارها عليه يُضعف جدا احتمال بقائها مسلمة فهذا فعل المعصية لا يعتبر بمجرَّده مروقا من الدين وله دافع يدفعها إليه من الطبيعة الجنسية فلعل الله يغفره لها من أجله وكذلك موقف الرجل المختلط بها المستفيد من سفورها فعلا ، أما القول المعارض لصراحة القرآن الآمرة بستر النساء فهو أشد من الفعل وحسب قائل ذلك مروقا من الاسلام اذ ليس له دافع طبيعى غير عدم الايمان بالقرآن

School of Oriental Studies

فالسفور لا يمكن أن يدعى له أو يدافع عنه فى بلدة إسلامية كمصر بقلم كاتب مسلم ، ومن جرّاء ذلك كان آخر قولى للداعين والمدافعين ان المنطق والاخلاق والشجاعة يحتم عليهم أن يقلعوا عن دعوتهم ودفاعهم أو عن دعوى أنهم مسلمون ولو بأسمائهم ، وقد آن للحكومات الاسلامية أن لا تسمح للملاحدة الناشئة فى بلادها أن يندرجوا فى سجل المسلمين ان لم تقدر على أن تعاملهم معاملة المرتدّين . نعم ان السفور يجدر به أن يدعى له جهاراً فى بلاد صرحت حكومتها بانتزاعها عن دينها مثل تركيا الحديثة

وإذا كنتُ اعتبرت الفعل المجرد أهون شرا من القول فى المعاصى مثل السفور فانى استثنى منه ما قرأته فى مقالة كتبت لذكرى سعد من أنه هو الذى كشف بيده الستار عن النساء فى محضر بعولتهن وعدّ ذلك من مناقبه . لان فعل زعيم عظيم مثل سعد يعتبر كوضع قانون لحزبه وتعليم المنحازين اليه وليس لهذا الوضع والتعليم دافع طبيعى يدفعه اليهما فلا يغتفر ذلك الفعل له ويلحق بالقول والامر

وكأنى بعلماء الدين سكتوا عند وقوع تلك الحادثة احتراما لسعد أو انتقده عليه قليل منهم من غير تصريح باسمه كما هو المعتاد عند علماء مصر فى النقد ، لكن النهى عن المنكر ليس بجهاد مع الهواء ، وان الحق وخاطر الاسلام أكبر من سعد وألف سعد

وانى تذكرت هنا سعدا الصحابى وقول النبى ﷺ فيه « تعجبون من غيرة سعد ، واللهِ لانا أغير منه ، واللهُ أغير منى »

قد يقولون ان سفور المرأة من لوازم النهضة التى يحتاج اليها المسلمون ومن أجل ذلك التزمه سعد ، وأنا أقول العهد الذى بلغت نهضة المسلمين فيه أشدها لاشك انه عهد سيدنا عمر الفاروق وما بلغت أى أمة فى أى أدوارها مبلغ تلك النهضة ولن ترى الدنيا مثل ما قام به المسلمون فى ذلك العهد الذهبى من الاعمال الجليلة ومع هذا فان أول من قال بلزوم الحجاب للنساء كان هو سيدنا عمر ثم نزل القرآن على وفق قوله رضى الله عنه . هذا وتأمل الفرق بين وضع الحجاب بعد ان لم يكن وبين رفعه بعد أن كان ودام طيلة تاريخ الاسلام ، ثم تأمل قول سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه « لن يصلح أمر آخر هذه الامة إلا بما صلح به أولها »

بقى انه لا يجوز لقراء مقالتى عن السفور والاحتجاب ان يحسبونى لا أوافق على تعليم المرأة كما لا أوافق على سفورها ، وهذا الحسبان منهم يحتمل أن يكون منشأه ان أنصار السفور يحتكرون لانفسهم نصرة تعليم المرأة أيضا وكل بدعة مضادة للاسلام تروج فى زماننا باسم العلم حتى ان اللادينية يعبر عنها عند معتنقيها (بالعلمانية) تمدحا أو تسترا وانت كثيراً ما تصادف هذا التعبير فى جرائد مصر تستعمله بمعنى اللادينية من غير حياء من العلم ومن

غير أدب مع اهل الاديان من قرائها يمنعها عن نسبتهم إلى الجهل المفهومة من ذاك التعبير ولا اقل من احتقارهم بانهم لا يفهمون مغزى اطلاق ذلك اللفظ على مبدأ اللادينية

نعم انى لا امنع المرأة عن التعلم ولا من التبحر فى العلوم لمن يستشعر منها النبوغ ، لكن بشرط أن يكون كل من التعلم والتبحر فى مدارس خاصة بالنساء لا يخالطهن الطلاب الذكور ، ومدرساتهن منهن فان لم يوجد فيهن من يكفى لتدريس الدروس العالية ينتدب العلماء من الرجال يلقون الدروس على طالباتهم الممتلئات الشباب وعلى رءوسهن خمرهن ، ولا أجيز طبعا بعث الفتيات إلى بلاد الغرب ليتعلمن فى مدارسها وإذا كان لا بد من تلقيهن الدروس أمام علماء تلك البلاد فاستجلاب عدد منهم إلى بلادنا وتوظيفهم بمدارسنا أسهل وأسلم من ارسال أفواج من بناتنا إلى بلادهم يعشن فيها عيشة بنات الافرنج ويعدن بعد سنوات لم يبق معهن من الاسلام الا اسمه ومن قوميتهن إلا لغتها ، واستمع فى ذلك الحين استقبالهن من الصحفيين المتفرنجين بأنواع التحبيذ وأفانين التمجيد ، والاسلام ضايع بين هذه الضوضاء المخدرة وما أشد غفلة الآباء والامهات المبتهجين الفخورين بتلك البنات وأى ارتياح واطمئنان للطبع السليم اذا أبدل الانسان بنته بغيرها ولو كانت البدل أعلم من المبدل منها

وليست النهضة المنشودة للبلاد ان تحصل فتيات من بنات أشرافها على دكتوراه أوربية فى بعض العلوم أو تكون لاغنيائها سيارات فخمة يرون الدنيا من شباكها وتكون صلتهم بجمهور مواطنيهم أن يصعبوا عليهم المشى فى الشوارع حذراً من مصادمة سياراتهم السريعة السير والعالم يرى حال الجمهور المصرى ويرى من يركب السيارات العمومية أو الترام نماذج من الرجال والنساء يتنافسون فى الركوب والنزول والجلوس ، يحاول كل منهم أن يشغل من المقاعد أكثر مما يكفى لواحد ويبقى لجاره الاقل وكثيراً ما يطأ رجله ويدر و دخان سيجارته على وجهه أو يلقى رمادها على ثوبه وربما ترى بجنبك امرأة احتضنت طفلا يتزاحم الذباب على مآقيه وشفتيه الملوثة بمخاط أو بقية طعام يندمك منظره على ركوب العربة ، وعند المشى فى الشوارع يثير عليك عمال التنظيف الغبار . قارنوا ملايين المصريات من أمثال أم هذا الطفل مع فتيات مصريات من خريجات المدارس العالية الغربية متجردات عن حجابهن وملتحقات بنساء الغرب وانشدوا المصريات المهذبات الضائعات بين هذين الفريقين ، ولا يستطيع من يعيش بمصر دون ان يرى اناسا غارقين فى التمسك بتقاليدهم حتى القبيح منها أو اناسا نازعين بكليتهم الى التجدد والتفرنج

وعند كتابة هذه السطور قرأت يومية الاستاذ الصاوى فى

الاهرام وهو يسعى جهد طاقته لتعميم اختلاط الشبان بالشوابّ في مصر ليعرفوهن ثم يصطفوا منهن الزوجات ، وقد ايد مذهبه هذا بنشر خطاب ورد اليه من الدكتور ص . ن يقول انه ثائر على نظام مجتمعنا المصرى وقد قضى عشر سنوات بين ألمانيا وفرانسا وانجلترا ورأى مقدار الرجعية التى بليت بها عائلاتنا

وانت ايها القارىء قد عرفت مما اسلفنا من القول مدى ذلك الاختلاط والتعرف والتفنن فيهما وتنقّل الشبان بين الفتيات استيفاء لحق الاصطفاء والاستقراء ، مما يؤدى الى استغنائهم عن الزواج . واصدق شاهد على ذلك ان ازمة الزواج اشد والعزاب اكثر فى الغرب بلاد الاختلاط منهما فى الشرق ، لكن الاستاذ الكاتب الذى يفتى ويبت فى مسائل الاجتماع دنيوية أو دينية لايثنيه منقول ولا معقول

وكنت قرأت قبل يومين فى الاهرام لكاتب (على الهامش) مقالة تندد ببقاء الطربوش على رءوس المصريين وتعده كارثة اجتماعية ونكبة صحية وعنوان الجهل والتأخر ولا يرى له اى اتصال بقومية المصريين الا أن الاتراك استعبدوهم مدة من الزمان وتركوا أثر ذلك على رءوسهم ، ثم يفتى الكاتب بوجوب لبس القبعة زىّ المدنية الذى اختاره اليوم حتى الاتراك أنفسهم بعد نبذ الطربوش

وانى استشعر فى هذا القول الشاكى من أستعباد الترك أثر استعباد الانجليز أو استهواء الاتراك الحاضرين فى زيهم الحديث لهذا الكاتب المصرى وأضرابه حيث لم تكن قبعة الافرنج مرغوبا فيها لبعض الشرقيين لا سيما المسلمين إلا بعد أن اختارها ملاحدة الترك فصارت مختارة لغيرهم ونبذوا الطربوش فأصبح منبوذا ، أستشعر هذا الاستعباد الجديد من قول الكاتب الذى استعبده حتى أنساه واجبه الوطنى ازاء الطربوش الذى تضاعف كونه زيا وطنيا لمصر بهمة جمعية مشروع القرش وما أنفقته فى مصنوعاتها ، ولا يكون شىء أدل على الجهل والتأخر من اعتبار الطربوش عنوان الجهل والتأخر . هذا مع أن لبس القبعة لا يجوز للمسلمين كما استوفيت حق إيضاحه في تأليف مفرد . لكن فى صدر كل جريدة مصرية مفتين من المسلمين والمسيحيين يغنون عن مفتى الديار المصرية

وكان السبب فى استئناف مسألة الطربوش والقبعة فى الاهرام إمطار السماء مساء يوم من أيام الاسبوع الماضى أمطرت فأحوجت بعض الطرابيش الى تجديد كيّها والمطر لا ينزل فى مصر إلا نادرا ولا يكلف لا بسى الطربوش من المصاريف ما يذكر ولا يعادل مجموعه بسعر القبعة لا سيما من نوعها الفخم مع أن للطربوش من جمال المنظر فى عيون الشرقيين ما لا يوجد فى القبعة ولا

يضحى به لأجرة المكوى اللازمة فى النادر ، وانى أظن أن بعض غلاة التجديد فى مصر جربوا لبس القبعة فى العلانية أو الخفاء فاستقبحوا بها وجوههم حتى رضوا بطرابيشهم وكم نسمع حسرات الشعب التركى وتشوّقه الى الطرابيش لولا أن السيف مُصلت على عنقه

وبالنظر الى ان كل ما يمت بصلة الى الشرق والاسلام ، حتى الاخلاق والآداب وأستار الحياء وخدور النساء وعمائم العلماء ، أصبح عرضة للنبذ والتبديل بأتفه الاسباب ، فلا مانع — كما كتبته فيما علقته على قول الكاتب الطالب فى جامعة ليفربول — من أن يكتب كاتب فى احدى الصحف بالقياس على قول كاتب الهامش :

« ان بقاء البلاد المصرية على الاسلام أثر من استعباد الاتراك الذين صمدوا تحت راية الدولة العثمانية فى وجوه الدول الصليبية التى خضعت امام قوة تلك الدولة قرونا وأجمعت امرها وشركاءها للعمل فى كيدها وإضعافها قرونا أخرى وعاش الاسلام مدة تلك القرون الطويلة مستنداً اليها ولم يخطر فى خلد أى دولة نصرانية فكرة تنصير أى قوم من الاقوام المسلمة ، حتى اذا انقرضت هذه الدولة بعد اللتيا والتى ارتدت تركيا عن دينها وتوالت الاعتداءات على دين الاسلام فى انحاء العالم من الداخل والخارج حتى غدا لا يحترم فى بلاده وبين أبنائه وتجرأ اليهود الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة لتأسيس دولة قومية لهم فى وسط بلاد العرب

ولا يعلم غير الله مقدار عمر الاسلام بعد هذه العلامات الباعثة على التشاؤم . فهل ينبغى للمصرين سلالة الفراعنة ذوى المجد - على تعبير هدى هانم شعراوى فى خطبتها عن نهضة المرأة المصرية الخطبة التى اذاعها الراديو قبل ايام فطنّتْ فى فضاء مصر - فهل ينبغي للمصريين بعد نبذ الاتراك انفسهم الاسلام بفضل مجددهم الاعظم أن يستمسكوا به وهو عنوان التأخر[1] وفى مصر مجددون ان لم يستطيعوا القيام بالقضاء على الاسلام ومعالمه بسيوفهم فهم قادرون على القيام به باقلامهم »

نعود الى ما نحن بصدده :

ثم انى أختار فى غير النوادر من البنات أن يكون تعليمهن مقصورا على ما يهمهن فى تدبير منازلهن أو تربية أولادهن وتهذيب أخلاقهن وعلى قواعد حفظ الصحة والانتظام والاقتصاد وخلاصته إعدادهن لان يكن خير أمهات وخير زوجات لا ليكن عدلا للرجال فى جميع الاعمال لان ذلك لا يمكن ولا ينفع ودعوى مساواتهن بالرجال على معنى ان المرأة تصلح لكل ما يصلح له الرجل كما نقلتْ احدى الكاتبات الشهيرات بمصر عن أفلاطون الحكيم وكتبته بجنب عنوان مقالها المنشور فى الاهرام : « ليس من عمل

---

(١) وفى عبارة الطربوش عنوان الجهل والتأخر اشارة الى هذا المعنى

فى نظام الهيئة الاجتماعيـة تختص به المرأة كامرأة أو يختص به الرجل كرجل لان الطبيعة ساوت بين الرجل والمرأة فيما منحتهما من النعم والمواهب ولذلك يحق للمرأة أن تقوم بكل عمل يقوم به الرجل رغم كونها أضعف جسما منه » ـ دعوى فارغة أفضتُ فى ابطالها بعض الافاضة فى المقال الموضوع لمسألة تعدد الزوجات ، مع أن افلاطون يناقض نفسه عند دعوى المساواة و يعترف بكون المرأة أضعف جسما من الرجل ، فهل ليست زيادة الحظ فى القوة الجسمانيـة من نعم الفطرة ومواهبها ؟ مع أن الامتياز بزيادة القوة هو عنوان السيادة فى العالم ، به تفتح البلاد ويحكم الامم بعضهم على بعض ، فحسبك ذلك فى نقض دعاى المساواة ، ولذا قال الشاعر :

خَلق الله للحروب رجالا وعلى الغانيات جرُّ الذيولِ

وفضلا عن ذلك فلو فرض بلوغ المرأة من مساواة الرجل مبلغ ان تصلح لكل ما يصلح له فهى لاتقف فى حد المساواة به بل تفوقه ، لان الرجل لا يصلح لكل ما تصلح له المرأة فهو لا يقدر على حمل الجنين فى بطنه وولادة الولد وارضاعه وحضانته ومحبته وخدمته والحنان والشفقة عليـه كما تحضنه المرأة وتحبه وتخدمه وتحنُّ وتشفق عليه ، فدعوى المساواة للمرأة المنتهية إلى تفوُّقها

عليه تستلزم خلاف المفروض وهو باطل ويستبين منه بطلان الدعوى أيضا

وقد رأيت الكاتبة التى استشهدتْ بكلام أفلاطون على مساواة المرأة بالرجل تحوّلت فى مقالتها المشار اليها من دعوى المساواة إلى دعوى تفوق المرأة على الرجل حيث قالت : « اختصاصنا بالامومة معناه أنا زودنا بامتياز عظيم عن الرجل بما يستلزمه ذلك الامتياز من مواهب وقوى وتصرّفات . ذلك إلى جانب مشاركتنا الرجل فيما اختص به » وعند الصفح عن دلالة هذا الكلام على أن دعوى مساواة المرأة بالرجل التى طالما اجتهد فى إثباتها المجتهدون تبطل نفسها ، فليستعد محامو المرأة من الرجال بخيلهم ورجلهم فقد أتيح لهم واجب جديد من إثبات رجحانها على الرجل فضلا عن دعوى تساويهما ، ولعل مجاوزتهن درجة المساواة بالرجال الى رتبة التقدم والتفوق خولت المرأة العصرية حق الزيادة فى سفورها على سفور الرجل أضعافا مضاعفة حتى برزت فى الأندية والمحافل نصف عريانة !!!

وإذا عدنا الى جد القول فهذه الحالة وحدها أعنى توغل النساء حديثا فى السفور أمام الرجال وفيما يحاكيه من التبرج قديما وحديثا ، التوغل الذى عُنينا بلفت النظر إليه فى مقالتنا هذه

والذى لامراء فى أن الغرض منه اكتساب المكانة لهن عند الرجال مما يدل دلالة باهرة على احتياجهن واستنادهن اليهم فى الحياة والذى لا تستغنى عنه عامتهن وخاصتهن وقديمتهن وحديثتهن والذى لا يقابلهن الرجال بمثله مع أن حاجتهم اليهن فى الميول الجنسية ليست بأنقص من حاجتهن اليهم ان لم تكن أشد ، فتوغل الحديثة فى السفور والتبرج أمام الرجال ظاهر ، والقديمة المحتجبة أيضا تتوغل فى السفور والتزين أمام رجل تختص به أعنى زوجها ، حتى المرأة التى تنفق ثمنا على زوجها فى سبيل زواجها به وتعطيه (دوطة) عكس الزواج الاسلامى الذى يعطى فيه الزوج زوجته مهرا ، تزف إلى زوجها وتتبرّج له ولم يسبق فى الدنيا أن رجلا زُف متبرّجاً الى زوجته كما تزف العروس إلى عريسها ولن يأتى عليه هذا الموقف فى الزمان الآتى ، فالتبرُّج وُجد فى الدنيا مع المرأة ويفنى بفنائها ولن يغير هذا النظام الغريزى الاجتماعى أىُّ انقلاب يحدث فى المرأة من التعليم والتكامل والاشتراك فى أنحاء العمل مع الرجل ؛ فهذا التوغل منهن فى السفور والتبرج الحديثين أمام الرجل ورسوخ الزينة فيهن بحيث امتزجت بدمائهن وأرواحهن ، هذه الحالة المشهودة وحدها كافية فى الدلالة على أنهن خلقن للرجال أكثر من كل شىء ينبىء عن الأستقلال فى حين أن الرجال خلقوا

للقيام بوظائفهم فى الحياة فأين مساواتهن بالرجال بله توقفهن عليهم وأين قول أفلاطون الحكيم أو قول كاتبة المقالة المشار اليها (زينب الحكيم) من قول القرآن الحكيم : ﴿ أو من يُنشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين ﴾ وقوله ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ﴾ فلو اجتمعت الانس والجن وشياطين الزمان على أن يأتوا فى تحديد موقف المرأة فى الحياة بأبلغ من هاتين الآيتين ما استطاعوا ، ثم لا ينقص هذا الموقف ما تستحقه من الاحترام الفائق قال الله تعالى : ﴿ ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ﴾ الآية وقال ﷺ « أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك » وقال « الجنة تحت أقدام الامهات »

وفى الآية والحديثين إشارة إلى أن أشرف أوصاف المرأة كونها أما وبه تمتاز وتتقدم على الرجل عند المقارنة بين الجنسين ويمتلىء فراغ نقصانها بالنسبة إليه امتلاء يذهب بها من النقصان الى الزيادة والرجحان لا إنه ينضم الى المساواة الحاصلة بدونه فيقلبها زيادة كما زعمت الكاتبة

School of Oriental Studies
Cairo
The Ar

تمّ

السفور والخلاعة

لما اطّلع الشاعر الكبير الاستاذ محمد حسن النجمى على هـذه الفصول النفيسة فى صحيفة (الفتح) جاشت شاعريته بالقصيدة الآتية :

زعم السفورَ والاختلاطَ وسيلةً
للمجد قوم فى المجانة أغرقوا
كذبوا متى كان التعرُّض للخنا
شيئاً تعزّ به الشعوبُ وتسبق
أيكون كشف السوأتين فضيلةً
فيذيعها هـذا الشباب الاحمق
ما بالهم والبنت قد فتنت بما
قالوا وحلّ بها الجنون المطبق
وبدتْ مَقاتل عِرضها لرُماته
حتى لهمّ به الجبان الاخرق
والقول أصبح فى الخروج لها فلا
كفٌّ تكف ولا رتاج يُغلق

كرِهوا الزواجَ بها وباتت سوقُها
بعد التبذّل عندهم لا تنفق
ما خطبهم كلفوا بنزع حجابها
وتكلفوا فيه البيان ونمقوا
وتناولوا بالضعف من حاجاتنا
واللين ما هو بالصرامة أخلق
أغدت مشاكلنا الكبيرة كلها
ذيلا يجرجره السفور المطلق
أم أنهم ضلوا السبيل وغرهم
ببريقه هذا الجديد المخلق

أشباحَنا المرجو صيحةُ جازع
أغرى بها هذا البلاء المحدق
ونصيحةٌ يفضى برائع سرها
لقوام نهضتنا محبٌّ مشفق
لا ترهفوا سمع الحفيِّ لقالة
أبداً بها بُوم البطالة تنعق

لم يقصدوا خيرا بها ، لكنهم
رأوا القوى يسيغها فتملقوا
ولربما اجترح القوى خطيئة
فمضى الضعيف بمدحها يتشدّق
قوا أهلكم ونفوسكم عارا اذا
لم تتقوه بغيركم لا يعلق
وتناولوا بالزجر حُمراً كلما
هِيجتْ الى مُتَع الاباحة تنهق
ليس التمدن أن نرى روح الحيا
بيد الخلاعة كل يوم تزهق
والبنت يدفعها براحته الهوى
فتروح تهوى من تشاء وتعشق
لكنه العلم اهتدى بضيائه
غرب البسيطة حين ضل المشرق
النجمى

فهرس

صفحة

١ مقدمة

١ — مبدأ تعدُّد الزوجات

٥ الاعتراف بجواز تعدُّد الزوجات ضرورىٌّ للمسلم

٧ هل تفضّل المرأة أن يتزوَّج زوجُها من أخرى أو يخادنها

٩ مضارُّ الزنا أعظم من تبعات الزواج بأكثر من واحدة

١٠ كلمة الدكتور مظهر عثمان بك فى تعدد الزوجات

١١ وجود المتّجرات بأعراضهن دليل على زيادة عدد النساء على الرجال

١٢ المرأة والرجل بالنسبة الى مسألة التعدد

١٣ الحجاب وتعدد الزوجات وتسهيل الطلاق من موانع الفسق

١٤ عدم تصعيب النكاح بتحديد سن الزواج

١٥ إمساك بمعروف أو تسريح باحسان

١٦ الاسلام يتوسط بين ضيق المبدأ المسيحى وفوضى الاشتراكية

١٧ تعدد الزوجات الشرعى والتعدد من غير زواج

١٨ اذا ثقل التعدد على احدى النساء ففيه منفعة لأخرى من جنسها

٢٠ اكثار التناسل فى الامم ، ومكابرة جناب شهاب الدين بك

٢ — السفور والاحتجاب

صفحة

٢٤ السفور من آثار البداوة ، والاحتجاب مقيد للفوضى بوازع دينى أو خلقى
٢٥ الحجاب يناسب الغيرة المستمدّة من الروح ، والشهوة هى التى تغرى بالسفور
٢٦ القضاء على الغيرة ينافى الفطرة والفضيلة
٢٧ نصيحة شاعرة فرنسية لنساء الشرق
٢٨ تحوّل السفور الآن الى نصف عرى
٢٩ وصف الشعراء لحمامات البحر بالاسكندرية
٣٢ كلمة كاتب من النوّاب
٣٣ شكوى كاتبة من عواقب السفور
٣٦ بعض مغالطات كاتب ماقلّ ودل
٤١ مسألة التعارف قبل الزواج
٤٥ العشرة قبل الزواج تعرقل الزواج
٥٠ مسئولية الزوج الذى أباح لصديقه الاختلاط بزوجته فأغراها
٥٢ اعتياد الغربيين رؤية النساء عاريات الاعضاء
٥٤ نقض مزاعم فى الرقص وفائدته
٥٧ المتعوّد مجالسة النساء وحديث العهد بتلك الاحوال
٦١ اختلاط الغربيين والغربيات فى سنّ مبكّرة

صفحة

٦٨ استعمار الغربيين قلوب أبنائنا شرٌّ من استعمارهم البلاد
٦٨ علاقة التعليم بضمان عفة النساء
٧٠ السفور بمعناه العصرى يأباه الاسلام
٧٣ قد يغفر الله للسافرة وأما دعاة السفور فمارقون من الاسلام
٧٤ قد آن للحكومات الاسلامية أن لا تدرج الملاحدة فى سجل المسلمين
٧٥ الحجاب لاينافى النهوض ، و الاسلام لايمنع تعليم المرأة
٧٧ بماذا يكون النهوض؟
٧٨ استطراد الى الطربوش و القبعة
٨١ التعليم الذى يحتاج اليه بنات المسلمين
٨٢ قضية مساواة النساء بالرجال
٨٤ تزين النساء للرجال دليل احتياجهن و استنادهن اليهم فى الحياة
٨٦ السفور و الخلاعة (قصيدة الاستاذ النجمى)
٨٩ فهرس
٩٢ استدراك

استدراك

نرجو تصحيح الكلمات الآتية بالقلم

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٧	٤	ثابتة	ثانية
١١	١٥	يقولون	ويقولون
٢٥	٨	والتحرر	والتحرر
٢٥	١٤	الطبيعة	بالطبيعة
٢٥	١٨	يضحيه	يضحى به
٢٧	١٠	تعرفونها	تعرفون ذلك
٣٥	١١	والرقّ	ولا الرقّ
٣٨	١٠	واشتراؤها	واشترائها
٣٩	١٤	يحكمون	يحكمون
٤٠	٩	لاتعرفه	لم تكن تعرفه
٥٢	٩	القاصدين	القاصرين
٥٢	١٧	ان مغزاه	بل ان مغزاه
٥٥	١٩	لامرأة	الى المرأة
٦١	١٤	وجل	وجعل
٦٥	٨	عند	عن
٨١	١٨	عبارة	اعتبار

مسئلة ترجمة القرآن

أوفى وأمتع ما كتب فى ذلك

بقلم العلامة الكبير سماحة مصطفى صبرى أفندى

شيخ الاسلام السابق للدولة العثمانية

نقض فيه مساند القائلين بالترجمة قديماً وحديثاً

وردّ على ماجاء فى مقال فضيلة الاستاذ المراغى وبين مافيه من التلبيس بين معنيي القدرة على العربية والعجز عنها في كلام الفقهاء، وقرّر أن دعاة الترجمة لايستقيم لهم أن يتخذوا مذهب الاحناف سنداً لهم

وردّ على دعوى الاستاذ فريد وجدى فى ترجمة القرآن وزعمه أن القرآن غير معجز ببلاغته، واشارته الى أن العرب أيضاً ليسوا فى غنى عن ترجمته الى عربى أوضح منه، ومغالطته بين الاسلام والقرآن والكلام فى عربية القرآن لافى عربية الاسلام الخ

١٤٦ صفحة كبيرة ثمنه ٧ قروش غير أجرة البريد

موقف البشر

تحت سلطان القدر

من أهم مؤلفات

العلامة الجليل سماحة مصطفى صبرى افندى

شيخ الاسلام للدولة العثمانية سابقاً

هو من مباحث أصول الدين وعلم النفس ، أيد فيه مذهب الامام الاشعرى فى القدر وبين أن غموضه وخفاء معنى الكسب فيه لايعدُّ عيبا عليه ، وانتقد أقوال الذين خالفوه من المعتزلة والماتريدية وغيرهما ، كما انتقد آراء فلاسفة الغرب فى الجبر والاختيار ، وردَّ على من يرى فى عقيدة القضاء والقدر سرَّ تأخر المسلمين وانقطاعهم عن السعى والعمل

٣٠٠ صفحة كبيرة ثمنه ١٠ قروش غير أجرة البريد

AUC – LIBRARY

DATE DUE

A.U.C 20 APR 1996	
A.U.C 5 - MAY 1996	
A.U.C 30 JUL 1997	

1955

- 1 JUN 1985

B12719006
I14208568

HQ 1233 S3x 1935/c.1